الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية
-قسنطينة- — -قسم العقيدة ومقارنة الأديان-

رقم التسجيل :...../.....

الرقم التسلسلي :.....

التوراة والقرآن

دراسة مقارنة في المصدرية والتدوين

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في مقارنة الأديان

إعداد: **أحمد مغفورين**

إشراف: **الدكتور بشير عزّ الدّين كردوسي**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. رابح دوب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبدالقادر	رئيسا
د. بشير كردوسي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبدالقادر	مشرفا ومقرّرا
د. عبد القادر بخوش	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبدالقادر	عضوا
د. كمال معزي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبدالقادر	عضوا

السنة الجامعية: 1426- 1427هـ/ 2005- 2006م

الإهداء

إلى أتباع الأنبياء، منفتحي القلوب والألباب...

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع متقرّبا إلى منزل الكتاب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشكر والتقدير

بعد الحمد والثناء للمولى عز وجلّ .....

أتقدم بالشكر الجزيل من صفاء قلبي إلى أستاذي المشرف الدكتور بشير عز الدين كردوسي عرفانا بما قدمه لي من توجيهات حكيمة ومساعدات قيّمة خصوصا إمداده لي بمصادر ومراجع نادرة وترجمته لنصوصها الفرنسية. كما أنه لم يبخل عليّ بوقته ونصحه وعلمه وتتبّع هذه الرسالة من أولها إلى آخرها.

كما أشكر أساتذة قسم العقيدة ومقارنة الأديان وعلى رأسهم الدكتور كمال معزي– الرئيس السابق، والدكتور عبد القادر بخوش– الرئيس الحالي. وأشكر كذلك القائمين على شؤون هذه الجامعة من المدير رأسا إلى العمال انتهاء.

كما لا أنسى أن أشكر جميع من ساعدوني على فتح الطريق لدراستي بالجزائر وعلى إنجاز رسالتي هذه، وأخص بالذكر:

- القائمين على جامعة والي سونجو Walisongo الإسلامية الحكومية بسمارانج– إندونسيا وعلى رأسهم الرئيس ونوّابه.
- القائمين على وزارة الشؤون الدينية–إندونيسيا.
- القائمين على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي–الجزائر.
- القائمين على السفارة الإندونيسية بالجزائر.
- زملائي الإندونيسيّين والجزائريّين.

فأسال الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم ويجزيهم بأفضل ما يكون من الثواب.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدّمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وبعد....

- **دوافع اختيار الموضوع**

فإن علم الأديان يعدّ من أجلّ العلوم الإنسانية، وهو علم يدرس أديان العالم ومعتنقيها. ويدخل في ضمن ميدانه علم تاريخ الأديان الذي يقدم معرفة عن تاريخ كل دين وما حدث به خلال رحلته التاريخية الطويلة وكذلك علم مقارنة الأديان الذي يقارن بين الأديان لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها.

مساهمة في هذا المجال جاء هذا البحث ليتناول مقارنة في المصدرية والتدوين للكتابين الدينيّين، وهما التوراة والقرآن. فالأول مقدس في اليهودية والمسيحية والثاني مقدس في الإسلام. يدّعي كل طرف من أصحاب الكتاب أن كتابه هو الصحيح وبالتالي لايعترف بصحة كتاب الآخر، غير أن الموقف الذي يقول به المسلمون ليس هو الموقف الذي يقبله اليهود والمسيحيون. فادعاء اليهودية والمسيحية الانتساب إلى الوحي النهائي يستلزم عدم اعتراف بأي وحي جاء بعدهما. فلذلك، لاتعترف اليهودية بسماوية الإنجيل والقرآن، كما ترفض المسيحية إعطاء القرآن صفة الكتاب السماوي المنزّل. وفي طرف آخر، يوصي القرآن كل مسلم بالإيمان بالكتب السابقة له بما فيها التوراة والإنجيل، غير أن هذا الاعتراف مقترن بتصريح وجود التحريف والتغيير فيهما.

هذا الجدل العقائدي يستلزم ضرورة الدفاع عن النفس كما يستلزم زرع بذور الشك عند الطرف المقابل. وهذا الادعاء وما يترتب عليه من مواقف يجعل المؤمن يتساءل

عن مدى صحة الكتاب الذي يعتمد عليه ويؤمن بسماويته مقارنة بالكتب الأخرى المدعاة بسماويتها أيضا. وذلك لأن الكتاب المقدس هو من أهم العناصر في كل دين، وأن الدين مسألة جوهرية في حياة الإنسان، وهو الذي يرسم له حياته في الدنيا ومصيره في الآخرة. ونظرا لأهمية الدين البارزة، فإنه ينبغي على المرئ أن يتديّن بالعقل والتسليم لا بالتقليد والوراثة.

هذه هي الخلفية التي دفعتني للقيام بدراسة الكتب المقدسة دراسة مقارنة في المصدرية والتدوين. وقد خصصت البحث في هذه الرسالة للمقارنة بين التوراة والقرآن. والدافع الآخر لاختياري هذا الموضوع هو قلة البحوث في مثل هذا الموضوع الذي يعتبر جوهر الموضوعات، بحيث يتعلق بالركائز الأساسية للدين ويتصل بالوحي الإلهي.

- **أهمية البحث**

إن الدراسة الدينية المقارنة تعد من أصعب الدراسات وأمتعها بحثا، كما إنها لا تزال حقلا بكرا وميدانا خصبا يتطلب مزيدا من الجهد العلمي من جانب المتخصصين لتغطية جوانبه المتعددة. إن المكتبة العربية لا تحظى في هذا المجال إلا بعدد قليل من الدراسات التي تغطي هذا الميدان المعرفي، والملاحظ عنها أنها تتناول موضوعات جزئية.

فتظهر أهمية هذا البحث في تناوله المقارنة بين الكتابين المقدسين، التي تجعلنا نستطيع أن نصل إلى نقاط الاتفاق والاختلاف في آن واحد. والرجوع إلى المصادر والمراجع المعترف بها عند أصحاب الكتابين، يمكننا من الحصول على التصور لهذين الكتابين حيث يكون تصورنا مبنيا على فلسفة تفكيرهم الديني. ولا يتوقف البحث عند مجرد الوصف والعرض، وإنما يتواصل إلى الامتحان والنقد بغية الوصول إلى كشف الحقيقة.

والبحث بهذه الطريقة يسهل على المستفيدين فهم حقيقة الكتب المقدسة. والناس بفطرتهم يعشقون الحق والحقيقة ولديهم استعداد لفتح عقولهم وقلوبهم، ويقبلون الحقائق عندما تتبيّن لهم.

- إشكالية البحث

إن نقد الكتب المقدسة موضوع خطير، إذ أنه إذا ثبت بطلانها أو تحريفها لزم من ذلك فساد ما للأديان من العقائد والشرائع. ومن جملة هذه الكتب المقدسة التوراة والقرآن اللذان وصلا إلينا في شكلهما المدون بين دفتي الغلاف، ولم يكن تدوينهما قد تم في زمن نزولهما. وبعد أن طال الأمد ومرت المراحل والأدوار، جاءت الإشكالية حول ما مدى حقيقة مصدرية وتدوين كل من التوراة والقرآن. ولمعالجة هذه الإشكالية، لا بد لنا من الإجابة عن تساؤلات آتية:

1. هل كل من التوراة والقرآن هو حقيقة كتاب سماوي نزل به الوحي؟
2. كيف دوّن كل من التوراة والقرآن؟
3. ما هي الظروف المحيطة بتدوينهما؟
4. ما مدى صحة انتساب التوراة إلى موسى عليه السلام؟
5. ما مدى صحة انتساب القرآن إلى الأقوال التي اعترف محمد ﷺ بأنها وحي من الله عن طريق جبريل عليه السلام؟

- **أهداف البحث**

ويحاول هذا البحث تحقيق عدة أهداف من بينها :

1. المساهمة في توفير مرجع علمي للمكتبة الجزائرية والإندونيسية في مجال الدراسات الدينية المقارنة.
2. التأكد مما إذا كانت التوراة الحالية هي التوراة التي أنزل الله على موسى عليه السلام في جبل سيناء.
3. التأكد مما إذا كان القرآن هو الذي أتى به محمد ﷺ من عند الله بواسطة جبريل.
4. بيان العلاقة بين القرآن والكتب السابقة له.

5. بيان أوجه التشابه والاختلاف حول مصدرية كل من التوراة والقرآن، وكذلك الظروف المحيطة بتدوينهما.

- **الدراسات السابقة**

هناك دراسات كثيرة عن نقد التوراة والقرآن، غير أنها تجعل كل واحد منهما موضوعا مستقلا بعيدا عن المقارنة. وهذا بالإضافة إلى أن كثيرا من هذه الدراسات يعسر التمييز بين الغرض الموضوعي، وبين الأراء التي يمليها التعصب لطائفة معينة، هي عندها حاملة لواء الحق بينما هي باطلة عند غيرها.

مثال ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون حول القرآن. الطابع العدائي الذي يحل فيهم تجاه الإسلام يحملهم في دراساتهم إلى رفض سماوية القرآن، والتشكيك في نسبته إلى ما اعترف به محمد صلى الله عليه وسلم من أنه وحي منزل من عند الله، بل وصلت الدراسات إلى محاولة تشويه الحقائق. وفي جانب آخر، المسلمون الذين ينقدون التوراة ينظرون إليها نظرة إسلامية، فينكرون سماوية التوراة الحالية كما ينكرون نسبتها إلى موسى عليه السلام. فهذا الحكم المسبق قد ينقص الموضوعية في الدراسة.

إنني لا أنفي بهذا الكلام وجود الدراسات التي تعالج التوراة والقرآن معا، إلا أنها قليلة جدا. وأود أن أذكر هنا دراسة موريس بوكاي «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم»[1]. ولكن هذه الدراسة -كما اعترف به صاحبها- لا تعالج إلا جانبا واحدا من الموضوع، وهو دراسة الكتب المقدسة في ضوء الحقائق العلمية الحديثة، رغم إشاراتها المهمة إلى بعض الجوانب التاريخية. وكذلك الدراستان لمحمد بو الروايح[2] وأحمد مشرقي[3]، كلاهما عن النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام.

---

[1] ترجمة وتعليق حسن خالد (بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ط.3، 1990).

[2] النبوة في التوراة والإنجيل والقرآن، رسالة الدكتوراه (قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية:، 2000/6/5).

[3] أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية (بيروت-لبنان: دار الجيل، ط.1، 1424هـ/2004م).

وتعتبر هذه الدراسات أساسا لهذا البحث الذي جاء لمعالجة الفراغات التي تركتها البحوث السابقة.

- **المناهج المتبعة**

ألهمتني طبيعة الموضوع إلى أن أعتمد في دراستي منهجا تاريخيا لنقد الظروف الخارجية للنصوص، وذلك لمعرفة المراحل والظروف المحيطة بتدوين كل من التوراة والقرآن، وللتأكد من مدى صحة السند الذي يربط كلّا منهما بصاحبيهما. كما نهجتُ في بحثي منهج تحليل النصوص لدراسة ظروفها الداخلية، ومدى انسجام مضامينها ومطابقتها للوقائع والحقائق، وذلك لمعرفة مصدريتهما ألهية كانت أم بشرية. وكان لزاما عليّ في هذه الدراسة استعمال المنهج المقارن لمقارنة ما للتوراة والقرآن من أوجه التشابه والاختلاف. ولأجل المقارنة الموضوعية، يجب وضع التوراة والقرآن في مستوى واحد تجنّبا للاتهامات والأحكام المسبقة.

- **خطة البحث**

وقد جعلت لهذا البحث ثلاثة فصول إضافة إلى المقدمة والخاتمة.

خصصت الفصل الأول للتوراة، وهو يتكون من ثلاثة مباحث. المبحث الأول: التعريف بالتوراة، يحتوي على مفهوم التوراة، وأسفارها، وقدسيتها لدى المؤمنين بها، وتعدد نسخها. والمبحث الثاني: مصدرية التوراة، يحتوي على نبوة موسى وعلاقته بالتوراة، وكاتب التوراة الحالية وفرضيات مصادرها. أما المبحث الثالث: تدوين التوراة، فيتناول التوراة في زمن موسى ويشوع، والتوراة التي استعمله الملك يوشيا في إصلاحه الديني، وكتابة عزرا الكاهن للتوراة، وكذلك ترجمة التوراة.

وخصصت الفصل الثاني لما يتعلق بالقرآن، وهو يتكوّن من ثلاثة مباحث. المبحث الأول: التعريف بالقرآن، يحتوي على مفهوم القرآن، وموضوعاته العامة، ثم لغته وتعدد قراءاته. والمبحث الثاني: مصدرية القرآن، يحتوي على نبوة محمدﷺ، وعلاقته

بالقرآن، وكذلك علاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة له. أما المبحث الثالث: تدوين القرآن، فيتناول كتابة القرآن وحفظه في زمن الرسول، وجمعه في عصر أبي بكر، ثم توحيد المصحف في عصر عثمان، وكذلك حال القرآن بعد توحيد المصحف، ويكمل المبحث بالحديث عن رسم المصاحف وتطوره.

أما الفصل الثالث بمبحثيه الاثنين فخصصتهما للتحليل المقارن بين التوراة والقرآن. يتحدث المبحث الأول عن مقارنة في المصدرية، ويتحدث المبحث الثاني عن مقارنة في التدوين.

وختمتُ بحثي بذكر أهمّ النتائج التي وصلت إليها. كما زوّدتُ آخره بالفهارس.

- **صعوبات البحث**

كان من الصعوبة التي واجهتني في هذا البحث الحصول على المصادر اليهودية والمسيحية، بحيث إني لم استطع الحصول إلا على قليل منها، ذكرته في قائمة المصادر والمراجع. لذلك اكتفيت في بعض الأحيان بالرجوع إلى الكتب الثانوية التي تعبّر عن رؤيتهم نحو كتُبهم وعن مواقهم من القرآن الكريم.

كما أن الدراسات الدينية المقارنة تعدّ ميدانا جديدا لي. لولا الجهد المبذول لما استطعتُ إنجاز هذا البحث.

قسنطينة، في 26 أفريل 2006

أحمد مغفورين

الفصل الأوّل

التوراة مصدريّتها وتدوينها

المبحث الأول: التعريف بالتوراة

المبحث الثاني: مصدريّة التوراة

المبحث الثالث تدوين التوراة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

حُظيت اليهودية باهتمام كبير من طرف الباحثين. وذلك لأنّها تُعتبَر الديانة الكتابية الأولى التي وصلت تعاليمها إلى الوقت الراهن، كما أنّ كتابها المقدس يحتوي على التاريخ الإنساني الأوّل. ومن جهة أخرى، تعلّم هذه الديانة الناس ما يناقض العقل والطبيعة.

يعرف جميع الناس أنّهم يعيشون في كون واحد فلا بدّ من أن يكون هناك إله واحد يشمل رحمته الجنس البشري قاطبة، ويكون لهذا الإله صفات الكمال ويستحيل أن تُنسب إليه صفات النقص والعجز. كما يعرفون أنّ الله أرسل لهم الأنبياء وأنزل عليهم الكتب لتعليم الناس كيف ينالون السعادة الحقيقيّة، ولا بدّ من أن يكون هؤلاء من أحسنهم خَلقا وخُلقا ليتحملوا مسؤوليّتهم العظيمة.

ولكن الدارسين للديانة اليهودية يشاهدون أمامهم ما يخالف ذلك التصوّر، حيث يجدون فيها ما يفيد نشر أنواع الشقاق والكراهية بين الناس مما يبعدهم عن السعادة الحقيقية. أضف إلى هذا فكرة اختيار الله لشعب معيّن دون آخر، وفي الوقت نفسه ينسبون إليه النقائص كلّما فشلوا في تحقيق أهدافهم. كما ينسبون إلى أنبياءه الكرام الرذائل التي تناسب هواهم ليكون لديهم ما يبرّر جريمتهم. كل ذلك يفعلونه اقتداء بالأنبياء –في زعمهم– واعتمادا على الكتاب الذي يدّعون أنّه من عند الله.

وقد جاء هذا الفصل ليؤكّد مدى صحة ادّعاء سماوية أهمّ كتبهم وهو التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام أكبر الأنبياء عندهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل

التعريف بالتوراة

المطلب الأوّل: مفهوم التوراة

«التوراة» كلمة من أصل عبري «תורה / Torah»، وهي تُستخدَم لغة بمعنى «وصايا» أو «شريعة» أو «علم» أو «أوامر» أو «تعاليم»[1]. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنّها القانون أو الشريعة، ويبدو أنّ هذا قد تمّ بتأثير الترجمة السبعينية **Septuaginta** التي ترجمت كلمة التوراة بالكلمة اليونانية «Nomos» أي «القانون». وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيّات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة «توراة» مرادفة تقريباً لكلمة «شريعة»[2].

أما معناها في التقليد اليهودي فتُستعمَل كلمة التوراة للإشارة إلى الأسفار الخمسة (חומש / Humash) المنسوبة إلى موسى، والتي تسمّى في اليونانية بالبانتاتوك **Pentateuch**. ومن الباحثين من يقصي سفر التثنية من ضمن أسفار موسى لعدم علاقته بالأسفار الأربعة السابقة له من حيث المصدر والبنية الأدبية، وبذلك يبقى عدد أسفار التوراة أربعة وتسمَّى تيتراتوك **Tetrateuch**[3].

وهناك من يعتبر سفر يشوع السفر السادس للتوراة، وبذلك سُمّيت التوراة بالهكزاتوك **Hexateuch** (الأسفار الستة). وذلك لأنّ سفر يشوع يحتوي على النتائج العامّة للأسفار الخمسة، كما أنّه استمرار لها، وقد جمع هذا النص من أجل التعبير عن آراء

---

[1] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد 5 (القاهرة: دار الشروق، ط.1، 1999)، ص2529.

[2] المرجع نفسه، 2529.

[3] Jean Louis SKA, Introduction à la Lecture du Pentateuque , Traduction de Frederic Vermoral (Bruxelles : Lessieus, 2000), p. 16 - 17.

سفر التثنية[1]، علاوة على أنّ تاريخ أصول بني إسرائيل لا يكمل إلا بذكر دخولهم في الأرض الموعودة والذي تحقّق على يد يشوع بن نون، وهذا الانتصار مسجّل في السفر الذي ينسَب إليه[2].

وقد تطلق أيضا كلمة التوراة على أسفار اليهود بأكملها[3]، وذلك من باب إطلاق الجزء على الكل[4]. فبذلك تسمّى الأسفار الخمسة الأولى خُمس أخماس التوراة (**חמשה חומשי תורה / Hamsiha Humshei Torah**)[5] ، إذ يشتمل الكتاب اليهودي على مجموعة من التَناخ «**תנך** / Tanach» وهو مختصر من الحروف الأولى لثلاث كلمات عبرية: «**תורה** /Torah» (أسفار موسى الخمسة)، و «**נביאים** / **Nevi'im**» (أسفار الأنبياء)، و «**כתובים** / **Ketuvim**» (المزامير وسفر الأمثال ونشيد الأنشاد وبقية أسفار الحكمة وغيرها). ويُفضِّل اليهود استخدام مصطلح «تَناخ»، على عبارة «العهد القديم» عند المسيحيين[6]، لأن هذه العبارة الأخيرة تفيد أنّ العهد الجديد قد أكمل كتاب اليهود المقدَّس وحلّ محلّه.

---

[1] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة و تعليق حسن حنفي (بيروت–لبنان: دار الطليعة، ط.4، 1997)، ص85.

[2] بشير كردوسي، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، رسالة ماجستير (قسنطينة: جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، 1413هـ/1993م)، ص12.

[3] اختلف اليهود والمسيحيين في تحديد عدد تلك الأسفار، فهي 23 في اليهودية، و39 في البروتستانتية، و 46 في الكاثوليكية. أما السامريون فلا يعترفون إلا الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى.

[4] المسيري، موسوعة اليهود، المجلد 5، ص2529.

[5] Jean Louis SKA, Introduction, p. 11.

[6] المسيحية إشارة إلى الديانة الكنيسية الحالية، وهي الديانة التي تؤمن بألوهية المسيح وليست لها أية علاقة به. ولم تكن المسيحية معروفة خلال حياة يسوع المسيح، لأنها ظهرت بعد وفاته بأكثر من عقدين من الزمن من لسان بولس لوصف أتباعه (أعمال الرسل 11: 26)، ولم يكن المسيح يعلم شيئا عن عقائد بولس المسيحية التي نشأت بعده ونسبت إليه. والمسيحية كلمة لمفهوم هلنسي تشير إلى شخصية ميثولوجية للمسيح بعد وفاته. وفي مقابل عقيدة المسيحية، آمن أتباع عيسي الذين كانوا يسمون بالنصارى

إن الذي يميّز اهتمام اليهود بأسفار موسى منه بباقي كتبهم، هو ثلاثة أمور آتية:

1. إنّ موسى أكبر أنبيائهم، لذلك فإنّ شريعته متميزة وفوق جميع أنواع الوحي الأخرى.
2. تميُّز علاقة موسى مع يهوه، لقد كان يهوه وموسى على اتصال مباشر بدون أيّة حاجز أو حدود.
3. الخروج من أرض فرعون بقيادة موسى هو الحادث الأساس في تاريخ بني إسرائيل، ولا يمكن مقارنة أي حادث آخر به. فالتأسيس الحقيقي لجماعة إسرائيل يرجع -إذن- إلى موسى، وليس إلى داود أو سليمان عليهما السلام[1].

وحسب الرؤية اليهودية الحاخامية، تلقّى موسى توراتين: واحدة مكتوبة تلقّاها عند جبل سيناء، وأخرى شفوية يتناقلها الحاخامات عن موسى، ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة. بل إنّ التوراة الشفوية أهمّ من التوراة المكتوبة، إذ أن فهم هذه الأخيرة مرتبط بالتوراة الشفوية. وبهذا وَسَّع الحاخامات معنى التوراة كل الأوامر والنواهي التي ورد ذكرها في كل من التوراة والتلمود والمشناه وفتاوى الحاخامات وتفسيراتهم، بل أحياناً ما ورد ذكره في الكتب القبّالية[2].

أما معنى التوراة الذي أعتمد عليه في هذا البحث فأحدّده على أنها خمسة الأسفار

=بشخصية عيسى الحقيقية التاريخية التي عاشت على الأرض في فلسطين أعمال الرسل 24 :5!. وكانوا يسمون أيضا «الجليليين» لأن المسيح بدأ دعوته بين أهل الجليل. الوقا 13: 2!.

ينظر: محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط.3 (دمشق: دار الفكر، 2003)، ص111 – 112. وكذلك: بشير كردوسي، المصادر الإسلامية في نقد النصرانية، رسالة دكتوراه (قسنطينة: جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، 1423هـ/2002م)، ص73 – 74.

1) Jean Louis SKA, Introduction, p. 22.

2) المسيري، موسوعة اليهود، المجلد 5، ص2529. وكذلك:

Sylvie Anne Goldberg (Ed.), Dictionnaire Encyclopedique du Judaisme (Paris : Cerf , 1993) , p. 1125.

الأولى المنسوبة إلى موسى، وهو مفهوم شائع عند اليهود والمسيحيين.

المطلب الثاني: أسفار التوراة

أطلق اليهود قديما على ذلك الأسفار الخمسة أسماء خاصة لا تشير إلى محتوياتها، بل هي عبارة عن الألفاظ التي يبدأ بها كل سفر من الأسفار الخمسة[1]. فالسفر الأول (**בראשית** / Bereishit = في البدء)، والثاني (**שמות** / Shemot = أسماء)، والثالث (**ויקרא** /Vayikra = ودعا)، والرابع (**במדבר** / Bemidbar = برية)، والخامس (**דברים** / Devarim = كلمات).

أما الترجمة السبعينية فقد أطلقت عليها أسماء أخرى، كل اسم يعبر عن بعض محتويات السفر، وعن الترجمة السبعينية اليونانية إلى اللاتينية، ومن ثم إلى كثير من لغات العالم[2]. فالسفر الأول يسمى (Genesis = تكوين) وذلك لأن هذا السفر يعرض قصة خلق العالم والتاريخ الأول للإنسان، والسفر الثاني (Exodus = خروج) وذلك لأنه يهتم بتاريخ الإسرائيليين في مصر وخروجهم وإقامتهم في صحراء سيناء، والسفر الثالث (Leviticus = طقوس كهنوتية) وهي تعتني بالعقيدة والطقوس، والسفر الرابع (Numeri = تعداد) وهو يتحدث عن إقامة بني إسرائيل في الصحراء حيث أجرى تعداد الشعب، والسفر الخامس (Deuteronomium = تثنية الاشتراع) وهو يهتم بخطبة موسى التي تدور حول الشريعة وعرضها مرة ثانية.

ونود في هذه اللمحة أن نتناول فكرة موجزة عن أهم مكوّنات أسفار التوراة الخمسة، هي كما يأتي:

1. سفر التكوين

يقع في خمسين إصحاحا. يؤكد لنا هذا السفر أن الله هو خالق الكون ومن جملته

---

[1] فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص39.

[2] المرجع نفسه، ص39.

الإنسان الذي أقره الله في أفضل مكان وأحاطه بخير الأجواء والظروف، ثم يعرض إلى كيفية دخول الخطيئة في حياة الإنسان، ثم طرد آدم وحواء من الجنة، وتحوّل ابنهما البكر إلى قاتل. وأفردت إصحاحات هذا السِّفر وصف بداية التاريخ البشري ونشوء الفنون والحرف وظهور اللهجات واللغات، ومواطن الأُمم الأصلية. فتحكي في خطوطها العريضة قصص آدم ونوح والطوفان وما كان من أمر أبناء نوح بعد الطوفان. ثم تصل إلى الجد الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود، وهو إبراهيم. وتتحدث عن سلالته مركزة على الحديث عن ابنه إسحاق ثم يعقوب بن إسحاق الذي يسمى أيضا إسرائيل.

ويحتوي هذا السفر على قسم خاص بيوسف وإخوته، ويبدأ بقصة مؤامرة الإخوة على يوسف وبيعه في مصر ووراودة امرأة العزيز له وتفسيره لأحلام عبيد فرعون وتفسير حلم الملك، ورحلة الإخوة إلى مصر ثم هجرة يعقوب وأبنائه الأحد عشر إلى مصر، ولحاقهم به واستقرارهم في أرض الفراعنة، وتنتهي القصة بموت يعقوب ويوسف[1].

2. سفر الخروج

يقع في أربعين إصحاحا. وتعتبر أحداث هذا السفر امتدادا لأخبار سفر التكوين الذي انتهى بموت يعقوب ويوسف، فيبدأ سفر الخروج بذكر جماعات بني اسرائيل، ثم يستمر الحديث باستعباد الفراعنة لبني إسرائيل منذ موت يوسف، وذلك بعد أن عظم شأنهم وكثر عددهم خلال الأجيال، بحيث أصبحوا خطرا يهدد سلامة شعب مصر.

في تلك الفترة وُلد موسى، فيحكي هذا السفر قصة مولده ونشأته وطرده وتحركاته في منطقة الشرق الأدنى، وبخاصة صحراء سيناء وأرض مدين، إلى أن أتاه

---

[1] بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (القاهرة–مصر، شركة ماستر ميديا، 2002)، ص3. وكذلك:

– حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه (دمشق: دار القلم، ط.4، 1999)، ص17 – 18.

– محمد خليفة حسن أحمد، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم (القاهرة: دار الثقافة العربية، 2002)، ص35 – 38.

الوحي الإلهي على جبل الطور بطريقة غريبة في لهيب نار من وسط عليقة (شجرة صغيرة) مشتعلة، ثم بدأ موسى مهمته بتحدّي فرعون والعمل على إخراج اليهود من مصر أرض العبودية. فعبر بهم البحر، وبدأت رحلتهم عبر سيناء، ثم تلقى موسى الوصايا العشر. وبعد ذلك صعد موسى إلى الجبل وتطول إقامته وحيدًا هناك. وإذا ببني إسرائيل يرتدون عن دينه إلى عبادة العجل، فعاقبهم الرب على عصيانهم وعدم إيمانهم، وتولى موسى عملية إصلاح ديني جديدة تستمر أثناء رحلته بهم شرقا. وكذلك ترد في هذا السفر مجموعة هامة من الشرائع والقوانين تسمى قانون العهد[1].

3. سفر اللاويين

ويسمى أيضا سفر الأحبار، نظرا لأن الشرائع والطقوس الكهنوتية تشغل فيه المكان الأول. فنجد الفصول الأولى من هذا السفر تقدّم توجيهات مفصلة لتقديم الذبائح من ثيران أو حبوب أو معزّ أو خراف التي كانت رموزا للعبادة. وكانت مهمة الكهانة موكولة إلى سبط «لاوي» بن يعقوب، وهي القبيلة التي ينتمي إليها موسى وأخوه هارون، والتي كان الكهنة كلهم منها حسب اشتراط التوراة لذلك. ويأتي التأكيد الأخير من السفر على الاحتفالات، إذ يقدم التعليمات بالأعياد التي كانت مناسبات خاصة ومنتظمة لتذكّر ما فعله الرب وتقديم الشكر له.

ويقع هذا السفر في سبعة وعشرين إصحاحا، وفيه يتوقف سرد بقية قصة المسيرة الإسرائيلية مع موسى عبر سيناء، بحيث يحتوي على التعاليم الخاصة بالحياة الدينية فقط. ونصوصه تتكامل مع القسم الأخير من سفر الخروج الذي قبله، ومع جزء كبير من سفر العدد الذي بعده، من حيث وحدة الموضوع[2].

---

[1] بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي، ص126. وكذلك: حسن ظاظا، الفكر الديني، ص14 – 15. و محمد خليفة، مدخل نقدي، ص38 – 42.

[2] المرجع نفسه، ص214 – 215. وكذلك: حسن ظاظا، الفكر الديني، ص15. و محمد خليفة، مدخل نقدي، ص43 – 47.

4. سفر العدد

يبدأ السفر وبنوا إسرائيل نازلون عند جبل سيناء، وكانوا قد أخذوا شرائع الله، ولكنهم تذمّروا وصرّخوا واشتكوا عند كل مرحلة. يتكون هذا السفر من ستة وثلاثين إصحاحا، وهو يواصل الوصف التاريخي الذي انتهى في سفر الخروج ويصل بهذا العرض التاريخي إلى فترة التيه وعبور الأردن في الطريق إلى أرض كنعان.

وقد اتّخذ السفر هذا الاسم لبروز ظاهرة التعداد الدقيق خلال نصوصه، حيث يورد إحصاء تفصيلي للشعب الراحل مع موسى في الصحراء. كما يورد المعلومات المبْنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدُن والقرى ونحو ذلك. وفي هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى وقومه، تتخللها الأحكام الشرعية في مختلف المسائل والفتاوى الفقهية حسب ما يظهر من ظروف. كذلك يكثر فيه تذمر العبريين من متابعة السير على خطوات موسى وانحرافهم نحو أنواع الفسوق والعصيان، كثيرا ما أثارت غضب موسى نفسه عليهم[1].

5. سفر التثنية

ويسمى أيضا سفر «تثنية الاشتراع» أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء، ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن في صحراء موآب. يعرض هذا السفر مجموعة من الخطب التي ألقاها موسى في سهل موآب إضافة إلى طائفة من الشرائع التي لم ترد من قبل، ويعرض أيضا خلافة يشوع لموسى في قيادة بني إسرائيل.

يذكر السفر بني إسرائيل من هو الرب وما قد فعله، ولعدم الإيمان تاه الجيل القديم في البرية أربعين سنة حتى ماتوا، لقد تركوا مصر وراءهم ولكنهم لم يروا مطلقا

---

[1] بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي، ص268. وكذلك: حسن ظاظا، الفكر الديني، ص15 – 16. و محمد خليفة، مدخل نقدي، ص47 – 50.

أرض الموعودة. فحضهم موسى في خطبه على الإيمان بالله والاتكال عليه وطاعته، ثم قادهم في العبادة والتسبيح. وصعد موسى إلى الجبل بعد أن تم تكريس يشوع لخلافته إلى أن مات موسى هناك[1].

وهذا السفر الذي تنتهي به التوراة المنسوبة إلى موسى يقع في أربعة وثلاثين إصحاحا، ورد في آخرها قصة موت موسى ودفنه في أرض **مُوآب**.

المطلب الثالث: قدسية التوراة لدى المؤمنين بها

– قدسيتها في عقيدة اليهود

يعتبر اليهود التوراة المصدر الأول لشريعتهم، وهم يعتقدون أنها نظام حياة وحكم وسلوك لهم[2]. وهم يؤمنون بقدسيتها ودوام أحكامها استنادا من نصوص كتبهم المقدسة، ومن أمثالها: «**أمّا كلمَة إلهنا فتَبقى إلى الأبَد**»[3]. ومعنى أبدية التوراة عندهم بقاء صلاحيتها واستمراريتها إلى نهاية الزمن[4]. ويقول موسى بن ميمون أحد كبار علماءهم: «قاعدة شريعتنا أنه لا يكون غيرها (التوراة) أبدا، فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثم شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة، وهي شريعة سيدنا موسى... ولذلك قيل فيها: شريعة الرب كاملة»[5].

ومن صور تقديسهم للتوراة، ما ذكر عن هرتزل –أبي الصهيونية–، أنه أعلن في

---

[1] بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي، ص**252**. وكذلك: حسن ظاظا، الفكر الديني، ص**16**. و محمد خليفة، مدخل نقدي، ص**50 – 54**.

[2] تثنية **32**: **46**– **47** «... لِكَيْ تُوصُوا بِهَا أَوْلاَدَكُمْ، حتى يَحْرِصُوا أن يعمَلوا بِجَمِيْع أحكامِها.– فما هو كلام فارِغ لدَيكم، بل هو حَيَاتُكُمْ».

[3] إشعيا **40**: **7** – **8**.

[4] **Sylvie Anne, Dictionnaire, p. 1127.**

[5] موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة:حسين أتاي (القاهرة:مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، **411** و **414**.

المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسوسرا عام 1897م[1] أن دولة إسرائيل ستقوم على حرفية التوراة بعد نصف قرن، وأوصى أن تدفن معه توراته الخاصة، وقد دفنت معه عام 1904[2]. كذلك أعلن المؤتمر أن إسرائيل ستقوم على حرفية التوراة وعلى جسر من التوراة[3]، وذلك لأن اليهود يدّعون أن العهود الربانية بين يهوه والأنبياء خلال قرون جميعها تؤكد تمليك بني إسرائيل أرض فلسطين ملكا أبديا لهم ولذرياتهم حتى قيام الساعة، ومن هذه العهود النص المنسوب إلى يعقوب: «قال الربّ: **أمّا أنا، فهذا عهدي معك: رُوحي الذي عليك، وكلامي الذي قلتُه على لسَانك لا يزُول مِن فَمك، ولا مِن فم نسْلك، ولا مِن فم نسْل نسْلك مِن الآن وإلى الأبَد**»[4]. وقال الرب –حسب الرواية التوراتية– عن خصوصية أرض فلسطين ببني إسرائيل:«**فَتَحْيَوْا وَتَدْخُلُوا وتملكوا الأَرْضَ الَّتِي يعطيكم الرَّبُّ إِلَهُ آبائكُمْ**»[5].

هذا ما يعتقده اليهود في التوراة اعتقادا دينيا وسياسيا.

– قدسيتها في عقيدة المسيحيين

أسفار اليهود من التوراة والأنبياء والحكمة التي أطلق عليها المسيحيون بالعهد القديم هي الوثائق الأولى للمسيحية، وذلك لأن تلك الكتابات المقدسة عند اليهود كانت كتبا مسيحية قبل ظهور العهد الجديد، أعني الأناجيل ورسائل الرسل. والمسيح نشأ في ظل تعاليمه طيلة حياته على الأرض. فالكتاب كتابه والبيئة بيئته، والشعب شعبه.

---

[1] ولم يكن هذا من التاريخ مصادفة، وإنما هو إحياء لأول عهد توراتي مزعوم أنزل على إبراهيم أن يملكهم أرض الميعاد بنفس العام قبل الميلاد أي عام 1897ق.م. ينظر: عابد توفيق الهاشمي، فضيحة التوراة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ/2000م)، ص23.

[2] المرجع نفسه، ص23

[3] المرجع نفسه، ص23 – 24.

[4] إشعيا 59: 21.

[5] تثنية 4: 1.

فمن العهد القديم استمد المسيح عليه السلام رسالته. جاء في إنجيل لوقا أن أحد علماء اليهود سأل المسيح ليجربه، ﴿فقال له: يَامُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ حتى أَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟- فأجابه يسوع: مَاذَا تقول الشَّرِيعَة؟ وَكَيْفَ تفسّره؟- فقال الرجل: ﴿أَحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ وَبِكُلِّ قوتِكَ وَبِكُلِّ فِكْرِكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ مثلما تحبّ نَفْسك.- فَقَالَ لَهُ يسوع: بالصواب أجبتَ. اعمل هذا فتَحْيَا﴾[1]. وجاء في إنجيل لوقا ما نصه ﴿أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ؛ لاَ تَقْتُلْ؛ لاَ تَسْرِقْ؛ لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ!﴾[2]، استشهادا بوصايا العشر الموجودة في التوراة[3].

وفي موعظته في مسقط رأسه يعتمد المسيح على النبي إشعيا، فقد جاء في إنجيل لوقا ﴿وَجَاءَ يسوع إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ نَشَأَ، وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ يَوْمَ السَّبْتِ على عَادَتِهِ،وَقام لِيَقْرَأَ.- فَناولوه كِتَابَ النَّبِيِّ إِشَعْيَاءَ، فَلَمَّا فَتَحَ الكتاب وَجَدَ الْمَكَانَ الَّذِي ورد فِيهِ:- رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمساكين؛ أَرْسَلَنِي لأُنَادِيَ لِلأسرى بالحرية، وَلِلْعُمْيَانِ بِعودة الْبَصَرِ إليهم، لأُحرّر المظلومين،- وَأعلن الوقت الذي فيه يقبل الرَّب شعبَه﴾[4] ويقرر في موضع أخر ﴿لا تظنّوا أنّي جئتُ لأُبطل الشريعَة وتعاليم الأنبياء: ما جئتُ لأبطل بل لأكمل...﴾[5].

ولهذا كله أعطى المسيحيون صفة القداسة لأسفار اليهود وضمّوها إلى أسفارهم في ضمن كتاب موحّد يسمى بالكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

---

[1] لوقا 10: 26 – 28.

[2] لوقا 18: 20.

[3] توجد ثلاثة نصوص في التوراة التي تذكر الوصايا العشر مع اختلاف فيما بينها، وتلك النصوص هي: خروج 20: 12–16، خروج 34: 10 – 26، وتثنية 5: 6 – 18.

[4] لوقا 4: 16 – 19. ويقارن بسفر أشعيا المقصود 61 : 1 - 2 ﴿رُوحُ السيد الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّ الرَّب مَسَحَنِي له. أَرْسَلَنِي لأُبَشِّرَ الْمساكين وأجبُر المنكسري القلوب، لأُنَادِيَ لِلمسبيّين بالحرية، وَ لِلْمَأْسُورِينَ بتخلية سبيلهم.- وأنادي بحُلول سَنَة رضاه، إنتقامٍ إلهنا مِن أعدائه﴾.

[5] متى 5: 17.

المطلب الثالث: تعدد نسخ التوراة

ليس للتوراة نص واحد بل على الأقل ثلاث مدونات أساسية وهي: النص العبري، والنص السامري، ونص الترجمة اليونانية السبعينية. ومن هذه النسخ تتفرّع سائر الترجمات.

1. التوراة العبرية

يزعم اليهود والمسيحيون أن التوراة المتداولة اليوم ترجع إلى عزرا الكاهن، وأنها كتبت بالعبرية. فلغة التوراة الأصلية هي العبرية[1]، إلا بعض المقاطع التي كتبت باللغة الأرامية[2]. ولكننا نتسائل ما مدى أصالة النص العبري الحالي؟

والذي نعرفه أن النص الأصلي للتوراة -وفق شهادة التوراة نفسها- تعرّض كثيرا لأعمال الحرق والإبادة بسبب الحروب الداخلية والغزو الأجنبي. والعناية على جمع الموجود من الأسفار المقدسة للعهد القديم بدأت في القرون الأولى الميلادية واستمر إلى ضبط علماء الماسورة نص التوراة بحركات القراءة في القرن التاسع للميلاد[3]، ولذلك تسمى التوراة العبرية الحالية بالتوراة الماسورية نسبة لهم. والنص الماسوري لايعني فقط نسخة العهد القديم العبرية التي يقال أنها ترجع إلى عزرا، بل يضاف إلى ذلك ضبطها بالحركات وتقسيمها إلى إصحاحات وفقرات وتعيين مواضع الوصل والوقف عند التلاوة[4].

إن أقدم مخطوط للتوراة العبرية هو مخطوط حلب **Aleppo**، ويعود تاريخه إلى

---

[1] سيأتي البيان عن لغة التوراة الأصلية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

[2] مقدمة الكتاب المقدس (لبنان: جمعية الكتاب المقدس، 1997)، دون صفحة.

[3] المرجع نفسه، دون صفحة.

[4] سيد فرج، السامريون واليهود (الرياض: دار المريح للنشر، 1987)، ص91. وكذلك: سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد (بيروت-لبنان، دار النفائس، ط.2، 1985)، ص9.

حوالى عام 950 للميلاد، ثم مخطوط بيترسبورج St. Petersburg الموجود في لينغراد Leningrad الذي نُسخ عن مخطوط حلب سنة 1008. وفي 1947 وما بعدها اكتشف مخطوطات البحر الميت المعروفة باسم لفائف وادي قمران، فهي تعطي لأول مرة نصا باللغة العبرية سابقا للنص الماسوري، حيث يعود زمن بعضها إلى ما قبل المسيح[1]. إلا أن هذه المخطوطات التي تتكون من مجموعات متكاملة للعهد القديم والتي استولى على الجزء الأكبر منها كل من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، لم تكشف ولم تعلن حتى الآن، مما يجعل في الأذهان استفهامات عديدة حولها[2].

2. التوراة السامرية

وغير المخطوطات العبرية نجد التوراة السامرية التي تحتوي على خمسة أسفار منسوبة إلى موسى فقط، وهي ترجع إلى عام 432 ق.م[3]. ومما تجدر ملاحظته أن نص التوراة السامرية يختلف عن النص الماسوري في نقاط عديدة يصل عددها حوالى 6000 معظمها اختلافات كتابية ونحوية باستثناء أمثلة جوهرية معيّنة[4]. ويختلف المؤرخون في تحديد مسؤولية تحريف كل من النص السامري والماسوري. فيشير بعضهم إلى أنه يقع على عاتق السامريّين مسؤولية العبث بالنص، بينما يرى البعض الآخر أنه من المرجح أن يكون اليهود أنفسهم هم الذين حرفوا من النسخة الأصلية من السامريين[5].

---

[1] مقدمة الكتاب المقدس، دون صفحة.

[2] سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد، ص83 – 87. وكذلك: محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم (دمشق: دار القلم، وبيروت: الدار الشامية، ط.1، 1410هـ/1999م)، ص264.

[3] Encyclopedia Britannica, Vol. 3, Art. Bible, 1961, p. 505

[4] لمعرفة أهم الاختلافات الجوهرية بين التوراة الماسورية والتوراة السامرية، ينظر: سيد فرج، السامريون واليهود، ص92.

[5] المرجع نفسه، ص92.

من هم السامريون؟

إن السامريين في الكتاب اليهودي هم الجماعة التي تقيم في منطقة السامرة بمعناها الجغرافي[1]، ولكن بمرور الزمن حدثت فوارق من الناحية التاريخية والدينية ميزت أهل السامرة عن أهل يهوذا، وبدأ اليهود ينظرون إلى السامريين نظرة جديدة تقوم على أساس أنهم طائفة خارجة عنهم. وبذلك بدأ مفهوم السامريين يتخذ بعدا جديدا، هو أن السامريين طائفة خرجت عن الإطار الديني اليهودي[2].

وهذا المفهوم يرتبط بنظر اليهود بعد عودتهم من النفي البابلي إلى أن السامريين هم أبناء السلالات الغريبة التي أحضرها الملك الآشوري ووطنها في مناطق مملكة إسرائيل مكان القبائل العشر[3] التي تم سبيها، وهم اختلطوا بعد ذلك مع أبناء القبائل العشر الذين بقوا وعاشوا في مدن السامرة، وربما قد انصهروا بينهم وكوّنوا شعبا جديدا. وتاريخهم يبدأ من سقوط مملكة إسرائيل في الشمال على يد الملك الآشوري (سرجون الثاني)، وذلك في السنة 722 ق.م[4].

---

[1] أطلق اسم السامرة في بادئ الأمر على عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال، وهي تبعد اثنا عشر كيلو مترا إلى الشمال الغربي عن مدينة شكيم (نابلس حاليا)، ثم اتسعت دائرةالاسم فشملت السامرة المملكة الشمالية كلها. ينظر: أندريه لومير، Histoire du Peuple Hébreu تاريخ الشعب العبري، ترجمة أنطوان أ. الهاشم (بيروت–لبنان: عويدات، ط.1، 1999)، ص35.

[2] سيد فرج، السامريون واليهود، ص25.

[3] تذكر الرواية التوراتية أن ليعقوب اثنا عشرة ابنا من زوجتيه ليئة و راحيل وجاريتيهما زلفة وبلهة. وهم: (1) رَأُوبَيْن (2) شِمْعُون (3) لاَوِي (4) يَهُوذَا (5) نَفْتَالِي (6) دَاناً (7) جَاد (8) أَشِيْرَ (9) زَبُولُونَ (10) يَسَّاكَرَ (11) يُوسُفَ، و(12) بِنيَامِين. كل واحد من هؤلاء أعقب سبطا أو قبيلة. ففي بني إسرائيل –إذن– اثنا عشر سبطا. [تكوين 29، 30 و 35]

وبعد موت سليمان، انقسم بنو أسرائيل إلى مملكتين: (1) مملكة يهوذا في جنوب، المكونة من سبطي يهوذا وبنيامين، و (2) مملكة إسرائيل في الشمال، المكونة من عشرة الأسباط الأخرى. [1ملوك 12: 1 و 20].

[4] سيد فرج، السامريون واليهود، ص24. وكذلك: محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة، ص97.

واليهودية منظمة قتالية عنصرية أكثر من الديانة، التي تهدف إلى حفظ دم شعب يهوه المختار –حسب زعمهم– من الاختلاط بالآخرين، فهم بطبيعة الحال ينكرون يهودية الأجيال السامرية بعد اختلاطها بالأمم الآخرى.

3. التوراة السبعينية

Septuagint الإنجليزية أو **Septante** الفرنسية هي كلمة من أصل يوناني **Septuaginta**، معناها سبعون، وتطلق على الترجمة اليونانية للعهد القديم لأن الذين قاموا بها **72** من أحبار اليهود بأمر بطليموس الثاني ملك مصر (**283 – 247** ق.م). قيل إن اليهود الذين هاجروا إلى مصر نسوا اللغة العبرية، ولذلك طلب الملك من الكاهن الأعظم إلعازار في أورشليم أن يرسل له رجالا ذوي خبرة في القانون واللغتين العبرية واليونانية لكي يترجموا التوراة إلى اليونانية. فاختار له الكاهن الأعظم **72** من علماء اليهود، ستة من كل سبط، وأرسلهم إلى مصر وجلسوا في أماكن منفصلة وأنتجوا في خلال **72** يوما ترجمة يونانية للتوراة العبرية، عرفت بالترجمة السبعينية[1].

وقد شكّك الباحثون في هذه القصة السبعينية لعدم وجود دليل يضمن صحتها، كما اعتبروها اسطورية. والواقع أن الترجمة تمت في الإسكندرية من العام **280** إلى العام **200** أو **150** ق.م، فاستغرقت عملية الترجمة السبعينية ما بين **80** و **130** سنة بواسطة عدد من الكتّاب، ولم تكن ملتزمة بالترجمة بل كان لها حق الإضافة و الحذف. ولكن على كل حال، تعد هذه الترجمة أول نسخة باللغة اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الثالث قبل الميلاد[2].

ويعتمد رجال الكنيسة المسيحية في استخدامهم للترجمة السبعينية على المخطوطين

---

1) **Believe Religious Information Source, Art. Septuagint (www.mb-soft.com/believe, 1/5/2006).**

2) **Believe Religious, Art. Septuagint.**

الأساسيين لكماهما نسبيا: (1) مدونة الفاتيكان **Codex Vaticanus**، المحفوظة في الفاتيكان– روما، و (2) مدونة سيناء **Codex Sinaiticus**، الموجودة بالمتحف البريطاني في لندن، وقد عثر عليها كما يبدو من اسمها في صحراء سيناء. ويرجع تاريخ هذين المخطوطين إلى ما بين القرنين الرابع والثالث بعد الميلاد[1].

وجدير بالذكر أن الترجمة السبعينية تتطابق مع التوراة السامرية أكثر من مطابقتها مع التوراة الماسورية[2]. وهذا التطابق يحملنا إلى افتراض أن مصدرهما واحد، أو أن النص العبري القديم مطابق للنص السامري، والاختلاف بينهما حاليا يدل على تحريف أحدهما بل تحريف كليهما. والملاحظ أن عمر النص الماسوري أقل بكثير من الترجمة السبعينية حيث يرجع تاريخه إلى القرن العاشر بعد الميلاد، وليس له أي دليل يثبت علاقته بالنص العبري العزراوي، وهذا يدعو إلى افتراض آخر أنها ترجمة من الترجمة السبعينية. وبطبيعة الحال فإن الاختلاف في النصوص يؤدي إلى الاختلاف في القبول والرفض مما يؤدي إلى صراع حاد بين اليهود والمسيحيين في إلهية متن التوراة أو بشريته.

---

[1] **Encyclopedia Americana, Vol. 3, Art. Bible, 1961, p. 655.**

[2] المرجع نفسه، ص655. وكذلك: **Encyclopedia Britannica, Vol. 3, p. 505**

المبحث الثاني

مصدرية التوراة

اتّفق كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين على أن موسىعليه السلام نبي مرسل، كما اتفقوا على أن الله أنزل عليه التوراة غير أنهم اختلفوا فيما إذا كانت توراة اليهود هي التي تركها موسىعليه السلام. ويمتحن هذا المبحث علاقة تربط بين موسى بتلك التوراة للوصول إلى معرفة ما يمكن أن يكون مصدرها إلهي أم بشري.

المطلب الأول: نبوّة موسىعليه السلام

يتبادر إلى فهم الناس أن ما يسمى بالكتاب المقدس هو كلام الله، وهو يحتوي على رسالة نبي من الأنبياء. وبما أن اليهود يعتقدون أن التوراة سجلّ كلام الله الذي أوحي إلى موسى، فلا بد من التأكد من صحة نبوته في العقيدة اليهودية. ولأن موضوع بحثنا هو الكتاب المقدس، فلا نريد أن نبيّن ماهية النبوة في اليهودية بتفاصيلها، فهي خارجة من نطاق هذا البحث، كما تحتاج إلى بحث طويل ومستقلّ. وما يهمنا هنا هو الوصول إلى معرفة ثبوت نبوة موسى وفق شهادات الكتاب الذي يقدسه اليهود، لكي ننتقل بعد ذلك إلى البحث عن الكتاب المنسوب إليه.

يعتبر موسى في الديانة اليهودية الشخصية المحورية التي لا تضاهيها شخصية دينية أخرى[1]، إنه الناطق باسم الإله «يهوه»، والوسيط بينه وبين الشعب المختار، كما إنه كليم الله وصديقه الذي خاطبه وجها لوجه[2]. موسى هو أكبر أنبيائهم وكتابه أساس شريعتهم.

---

[1] تثنية 34: 10 «وَلَمْ يَقُم مِن بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ كَمُوسَى».

[2] خروج 33: 11 «ويُكَلِّمُ الرَّبُّ مُوسَى وَجْهاً إِلى وَجْهٍ كَمَا يُكَلِّمُ الإِنْسَانُ صَاحِبَهُ».

لولا عصيان اليهود ليهوه لما أعطاهم غير التوراة[1]. فمهمة الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى تقوم على التذكير بشريعته[2].

ولكن بالرغم من عظمة شأن موسى في الحياة الدينية لليهود غير أن كتابهم لا يطلق عليه اسم النبي، كما لا يطلق هذا الاسم على شخصيات دينية كبيرة أخرى يتضمنها كتابهم، ومن جملة تلك الشخصيات: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. وذلك لأن هذا المصطلح لم يكن معروفا عندهم آنذاك. وقديما كان العبرانيون يطلقون على كبرائهم اسماء مختلفة مثل الآب والرائي ورجل الله. أما الشخصيات التي سمّاها التراث اليهودي «النبي» فهي التي جاءت بعد عصر موسى.

وأحسن نصّ يصوّر لنا استعمال هذه التسميات ما ورد في سفر صموئيل الأول **«وَكَانَ فيما سبَق إذا أراد أحدٌ مِن بني إسرائيل أن يذهَب لِيَسْتَشِيرَ الله يقول: تعالَوا نَذْهَبُ إِلَى الرَّائِي لأن الذي يقال له اليوم "النَّبِيُّ" كَانَ يقال له مِن قبْل "رَاءٍ".– فَقَالَ شَاوُلُ لِخَادِمِهِ: حَسَناً نَذْهَبُ إليه. وَقصد الْمَدِينَة الَّتِي فِيهَا رَجُلُ اللهِ»**[3].

إنّ السبب في التسميات الثلاث (رجل الله، والرائي، والنبي) في نصّ واحد يعود إلى شيوع استخدام مصطلح «الرائي/ **ר א ה** / Ro'eh» قبل زمن صموئيل (حوالي القرن 10 ق.م)، وإلى استخدام مصطلح جديد «النبي/ **נ ב י א** / Nevi» في زمنه[4]. ولذلك استخدم النصّ المصطلحين على أنهما تسميتان لشخصية دينية واحدة هي شخصية «رجل

---

[1] **Jewish Encyclopedia, Art. Torah, Online Edition Copyright © 2002 (www. Jewish Encyclopedia.com).**

[2] روجيه أرنلديز، رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة وديع مبارك (بيروت–لبنان: عويدات، ط.1، 1988)، ص 26.

[3] 1 صموئيل 9: 9 – 10.

[4] أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية (بيروت: دار الجيل، ط.1، 1424هـ/2004م)، ص10.

الله»، وهو شخص يتحدّث نيابة عن الإله[1]، أو مفسّر ما ألقاه الله إليه من المعرفة اليقينية عن شيء ما لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول عليه، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده، لأنّ المعرفة الإلهية مطلقة لموضوع غير قابل للتفكير ولا يمكن تفسيرها بقوانين الطبيعة الإنسانية[2].

وفي الرواية التوراتية، ليس النبي هو الذي يبحث عن الرب، ولكن الرب هو الذي يأتي إليه، ويكشف له ويُعلمه المهمة التي يكلفه بها، كما لا يكون النبي مبعوثا من قبَل الشعب ليعبر عن مطالبه، ولكنه حامل الكلام من الرب ليبلغه إلى الناس[3]. وهذا ما حدث فعلا لموسى حينما فاجأه الوحي يوما وهو في الصحراء يرعى العنم. وتفصل نصوص التوراة[4] حادثة الوحي هذه، حين ظهر الرب لموسى وكشف له عن اسمه «يهوه»، ثم أعلمه بالمهمة التي كلفه بها، والمتمثلة في تخليص العبرانيين من عبودية المصريين، ودعوتهم إلى عبادة «يهوه» وحده[5].

وكان موسى يتردد في قبول هذا القرار الإلهي، إلا أن موسى يقابله بسؤال يعكس ما اختلج في داخله من مشاعر التهيب والمفاجأة والتواضع بإزاء ما كُلّف به: «**مَنْ أَنَا حَتَّى أَذهبَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَأُخْرِجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ؟**»[6]. يبدو أن تردد موسى في قبول النبوة أول الأمر كان ناجما عن إحساس شخصي بأنه ليس الشخص المناسب لمثل هذا

---

[1] تثنية 18: 18 «سأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيّاً مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وأُلقي كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فينقل إليهم جميع مَا أكلّمُه به». استعمال مصطلح «نبي» في هذا السفر يشير إلى أنه كتب مؤخراً فتستحيل نسبته إلى موسى الذي جاء قبل صموئيل، لأن هذا المصطلح لم يظهر إلا في زمنه. ينظر: 1 صموئيل 9: 9 – 10 السابق ذكره.

[2] باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص123.

[3] Sylvie Anne, Dictionnaire, p. 974 – 975.

[4] ذكرت التوراة قصة بداية نبوة موسى في الإصحاحين الثالث والرابع من سفر الخروج.

[5] عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء (بيروت–لبنان: دار الرائد العربي، د.ت)، ص181.

وينظر: خروج 3: 1 – 15

[6] خروج 3: 11.

العمل، لأنه لا يملك -في ظنه- القدرة على التعبير، وهو يشير إلى ذلك بقوله: «يَارَبُّ، ما كنتُ يَوْما رجُلاً فَصِيحاً، لاَ بالأَمْسِ، وَلاَ من يوم كلّمتَني أنا عَبْدَكَ بل أنا بَطِيءُ النُّطْقِ وثقيل اللِّسَانِ»[1].

ويأتي الرد الإلهي مطمئنا من جديد: «فَاذهبْ وأنا أعِينُك على الكلام وَأُعَلِّمُكَ مَا تَقُولُ»[2]. ويصل هذا الحوار المطول إلى ذروته حين يعلن موسى الرفض التام للتكليف الإلهي قائلا: «يَا ربّ! ارْسل أحداً غَيْرِي»[3]، ولم يقبل موسى النبوة إلا بعد أن حمى غضب الرب عليه[4].

بدأ موسى بعد ذلك نشاطه النبوي واستمر ذلك حتى أن «مَاتَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ بِأمر الرَّبِّ.- وَدَفَنَهُ الرَّبُّ فِي الْوَادِي فِي أَرْضِ مُوآبَ، تُجاه بَيْتِ فَغُورَ. وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ قَبْرَهُ إِلَى يَوْمِنا هَذَا.- وَكَانَ مُوسَى ابنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ»[5]. وكان يكلم بني إسرائيل باسم الإله ويحرضهم على عبادة يهوه والإخلاص له والامتثال لوصاياه ويبلغهم الشريعة الإلهية (الناموس)، ويعلمهم كيف يمارسونها[6].

المطلب الثاني: موسى عليه السلام النبي والتوراة

إطلاق اسم أسفار موسى الخمسة على التوراة لا يشير فقط إلى الاهتمام بموسى بل افتراض نسبتها إليه واعتباره مؤلفا لها. هذه هي عقيدة اليهود التي تأخذ بها أيضا

---

[1] خروج 4: 10.

[2] خروج 4: 12.

[3] خروج 4: 13.

[4] خروج 4: 14 «فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى مُوسَى غضبا شديدا وَقَالَ له: أعرفُ هَرُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ أَنَّهُ فسيح اللسان وَهَا هُوَ الآن خارِج لِلِقَائِكَ وحينَ يراك يفرَح في قلبه».

[5] تثنية 34: 5 – 7.

[6] ينظر مثالا: خروج 18: 20 «وتعلن لَهُمُ الْفَرَائِضَ وَالشَّرَائِعَ، وتعرفهُمُ الطَّرِيقَ الَّذِي يَسْلُكُونَهُ، والنهجَ الذي ينهَجونه».

المسيحية. وذلك اعتمادا على نصوص التوراة. لقد أورد سفر الخروج أن الرب قال لموسى: «اكتُبْ هَذَا النصر ذكرًا فِي الْكِتَابِ»[1]. كما أورد سفر العدد «كتَبها مُوسَى مرحَلة مرحلة بعد خُروجهم كما أمَره الرَّبُّ»[2].

هل التوراة الحالية هي التي كتبها موسى بيده كما ذكرته تلك النصوص؟ إذ أن النصوص الواردة في التوراة نفسها تعترف بضياع توراة موسى[3]، كما أن النصوص الأخرى تعطينا الشواهد بأن كاتبها ليس هو موسى.

قارئ توراة اليهود مهما كان شديد الانصياغ سريع التصديق، يعرف بأن من كتبها مؤلفون غير موسى. فقد أحسّ بهذه المشكلة الباحثون القدماء منهم والمعاصرون، نذكر هنا –على سبيل المثال لا الحصر– ابن حزم (المتوفّى 478هـ/1085م)[4]، والجويني (المتوفّى 478هـ)[5]، والسموأل بن يحيى (المتوفّى 570هـ/1170م)[6]، وابن تيمية (المتوفّى 788 هـ/1328م)[7]، ورحمة الله الهندي (1818 – 1888م)[8]، وهم من المسلمين.

---

[1] خروج 17: 14.

[2] عدد 33: 2.

[3] سيأتي بيانه بالتفصيل في المبحث الثالث من هذا الفصل.

[4] هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (المتوفّى 456هـ/1064م)، وكتابه المشهور في هذا الموضوع: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة (بيروت: دار الجيل، 1985).

[5] عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، وكتابه في هذا الموضوع: شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ، تقديم وتحقيق أحمد حجازي السقا (القاهرة: مكتبة الأزهرية للتراث، ط.3، 1409هـ/1989).

[6] السموأل بن يحيى المغربي كان يهوديا ثم أسلم وألف كتابا عنوانه: إفحام اليهود، تحقيق و تقديم محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة: دار الهداية، 1986).

[7] شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني كتب ردوده على الديانة المسيحية في كتاب: الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح (الإسكندرية: دار ابن خلدون، د.ت).

[8] محمد رحمة الله بن خليل الرحمان الكيرانوي العثماني الهندي، خاض في مناظرات كثيرة ضد القساوسة، كما ألّف كتبا دفع بها عن الإسلام وردّ على أباطيل المسيحية.

أما من غير المسلمين فنجد باروخ سبينوزا Spinoza (1632 – 1677م)[1]، وريتشاد سيمون Richard Simon (1638 – 1712م)[2]، وجون أستروك Jean Astruc (1684 – 1766م)[3]، وأدولف لودز Adolf Lods (المتوفي 1948م)[4] وغيرهم.

ومن الشواهد التي ذكرها الباحثون هي:

1. التحدث عن موسى عليه السلام بصيغة الغائب.

ولو كان موسى كاتب التوراة لكتبها بصيغة المتكلم خاصة وإن مجمل أحداثها يدور حول شخصه. وقد ورد في سفر التكوين: «**وكَتَبَ مُوسَى هَذِهِ الشريعَة**»[5]، ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لا بد أن يكون قائله شخصا آخر يروي أقوال موسى وأفعاله. ولا يتحدث الكتاب عن موسى بصيغة الغائب فحسب وإنما فوق

---

[1] فيلسوف يهودي موسوعي ولد في إسبانيا ثم هاجر إلى أمستردام. وأهم كتابه في نقد التوراة «رسالة في اللاهوت والسياسة Tractatus Theologico-politicus» نُشر سنة 1670 من غير كتابة اسمه للاحتياط. ينظر: كردوسي، نقد التوراة، ص135

[2] عالم فرنسي تعلم في المدارس اللاهوتية ليكون كاهنا، فنصب لعمله ككاهن سنة 1670م لكنه طرد بمجرد ظهور كتابه «التاريخ النقدي للعهد القديم Histoire Critique du Vieux testament» الذي أنكر فيه نسبة التوراة إلى موسى. وهذا الكتاب ظهر سنة 1678م ومنع من الطبع بقرار ملكي، لكنه بعد ذلك نشر بهولندا. ينظر: المرجع نفسه، ص157.

[3] طبيب فرنسي يهودي الأصل. كان طبيبا خاصا للملك الفرنسي لويس الخامس عشر. وهو ابن واعظ بروتستانتي، ولكنه رجع إلى الكاثوليكية. وكتابه المشهور في الدراسة التوراتية «آراء عن المصادر التي استقى منها موسى فيما دوّنه في سفر التكوين Conjectures sur le Memoires Originaux don't Il Parait que Moyse s'est Servir pour Composer le Livre de la Genèse» نشر سنة 1753. ينظر: المرجع نفسه، ص164.

[4] أستاذ الدراسات التاريخية العبرية في الجامعات بفرنسا، له عدة مؤلفات منها «تاريخ الأدب العبري اليهودي Histoire de la Littérature Hébraique et Juive (Paris, 1967 » نشر سنة 1967 في بارس. ينظر: المرجع نفسه، ص172.

[5] تكوين: 31: 9.

ذلك يعطي عنه شهادات عديدة مثل: ﴿وكَانَ مُوسَى رجلا حليماً جداً أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ﴾[1]، ﴿وَهَذِهِ هِيَ الْبَرَكَةُ الَّتِي بَارَكَ بِهَا مُوسَى، رَجُلُ اللهِ، بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[2]. وأيضا ﴿وكذلك مُوسَى، كَانَ عَظِيماً جدّا فِي مِصْرَ﴾[3]. صيغة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها تدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر، لا سيما أن القائل قد استعمل صيغة الماضي البعيد مما يدل على أن الكاتب عاش بعد موسى بزمن بعيد[4].

2. اختلاف لغة التورة عن لغة موسى عليه السلام

إن التوراة المعترف بأصليتها جاءتنا باللغة العبرية، بينما موسى ولد في مصر كما ولد آباءهم فيها. وهو سُمي باسم مصري[5] ونشأ فيها وتثقف بثقافة أهلها وتكلم لغتهم

---

[1] عدد 12: 3 .

[2] تثنية 33: 1.

[3] خروج 11: 3

[4] الهندي، إظهار الحق، جـ.1، ص62، وكذلك: سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص267 – 269.

[5] من المرجّح أن موسى اسم مصري لأسباب أهمها:

1. أن ابنة فرعون هي التي أعطت هذا الاسم لموسي اخروج 2: 10]. كيف يتأتى لابنة فرعون أن تفكر في تسمية صبي تتبناه بلغة غير لغتها، خصوصا وهي لغة قوم يعتبرهم قصر فرعون أعداء له وويلا على مملكته؟ ثم هل يسوغ في العقل أن يكون فرعون معنيا كل العناية بقتل كل أولاد العبرانيين، وأن تفكر ابنته مع ذلك في تنشئة طفل يحمل اسما من أسماء هؤلاء العبرانيين في قصر فرعون نفسه.
2. توجد في اللغة المصرية الفرعونية كلمة قريبة جدا من نطق موسى، وهي لفظة «موس» التي معناها الطفل، والغلام، والابن، وهي التي توجد في أسماء الفراعنة مثل تحوتمس أي ابن الإله، ورعمس أي ابن الإله رع.
3. أنه لم يرد في أسماء الساميين جميعا، سواء أكانوا من العبريين أو من غيرهم كالآراميين والكنعانيين والأكاديين اسم نطقه كاسم موسى.

المصرية القديمة. فموسى سواء كان إسرائيليا أو غير إسرائيلي فقد ولد في مصر وتكلم اللغة المصرية الفرعونية القديمة[1]. وهكذا شأن سائر الإسرائيليين أو المقيمين في مصر. إن اليهود مكثوا في مصر 430 عاما[2]، فمن المنطق أنهم كانوا يتكلمون لغة أهل البلاد أيضا. ولو سلمنا أنهم احتفظوا بلغتهم التي كانوا يتكلمونها قبل رحيلهم إلى مصر إلى جانب اللغة المصرية، فهم كانوا يتكلمون باللغة الآرامية، إذ تقرّ التوراة بأن يعقوب –وهو جد بني إسرائيل– كان آراميا[3]، وكذلك الذين كانوا يعيشون معه[4].

ومن الراجح أن اللغة العبرية لغة الشعب الإسرائيلي التي اقتبسها من الكنعانيين عندما تسلّل إلى أرض كنعان بعد موت موسى في أيام يشوع بن نون ومن خلفه، وهي لغة تولّدت من اللغة الكنعانية الأم، واستعارت كلمات كثيرة من اللغات المجاورة كالبابلية والآشورية والآرامية والمصرية القديمة والفارسية وأخيراً اليونانية[5].

إننا لا نعرف معرفة يقينية اللغة التي تكلم بها موسى. ومهما يكن من شيء، حتى على افتراض أنها العبرية، فهي كانت تختلف اختلافا بيّنا جدا عن عبرية التوراة التي بين أيدينا[6]. فلذلك رجّح الباحثون أن توراة اليهود ترجع –على أحسن تقدير– إلى عهد عزرا الذي يعيش في زمان يقرب من 800 عام بعد موت موسى.

= ينظر: سيجموند فرويد، النبي موسى ورسالة التوحيد، ترجمة عبد المنعم الحفني (القاهرة: دار الرشاد، ط.1، 1411هـ/1991)، ص26 – 28. وكذلك: حسن ظاظا، الفكر الديني، ص17 – 18.

[1] فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية، ص59.

[2] خروج 12: 40 ‹وَكَانَتْ مُدَّةُ إقامة بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمِصْرَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً›.

[3] تثنية 26: 5 ‹كَانَ أَبِي أَرَامِيّاً تَائِهاً، فنزل إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي جماعة قَلِيلة›، والمقصود بأبي هو يعقوب الذي كان يدخل مصر مع أسرته.

[4] تكوين 31: 20 ‹وَخَدَعَ يَعْقُوبُ لاَبَانَ الأَرَامِيَّ›. و24 ‹فَجَاء الله إِلى لاَبَانَ الأَرَامِيِّ فِي الحُلْمِ لَيْلاً›.

[5] فؤاد حسنين، التوراة الهيروغليفية، ص58.

[6] حسن ظاظا، الفكر الديني، ص25.

3. امتداد الروايات إلى ما بعد موت موسى عليه السلام

ويظهر ذلك في ذكر الحوادث التي لم ينعلها موسى وإطلاق الأماكن الجغرافية التي لم تكن معروفة في زمن موسى[1]. ذكر سفر التثنية[2] عبور بني إسرائيل نهر الأردن، وموسى لم يعبره طيلة حياته كما شهد به السفر نفسه أنّ مُوسَى قال لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ‹**أَنَا الْيَوْمَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْعُمْرِ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً، لا أقدر على الرواح والمجيء. و الرَّبُّ قَالَ لِي: لَنْ تَعْبُرَ هَذَا الأُرْدُنَّ**›[3]. كما يذكر سفر التكوين[4] مدينة ‹دان›، وهذا الاسم لم يكن معروفا في زمن موسى، وهو اسم لم تأخذه المدينة إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة، إذ ورد في سفر القضاة: ‹**وسمَّوا المدينة دان باسم دان أبيهم الذي وُلد لإسرائيل وكان اسم المدينة قبل ذلك لايش.**– ونصبوا الصنم المسبوك، وظلّ يُوناثان بن **جَرْشوم بن مَنَسّى، هو وبنوه، كهنة لعشيرة بني دان إلى يوم سبيهم**›[5].

يروى في سفر الخروج: ‹**وَأكل بنو إِسْرَائِيل الْمَنّ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أن وصلوا إِلَى أَرْض آهلة بِالسُّكَّانِ على حدود أَرْض كَنْعَانَ**›[6]، وهم لم يصلوا إلى هذه الحدود إلا في عصر يشوع حيث ذكر في السفر المنسوب إليه: ‹**منذ أن أَكَلُوا مِنْ غَلَّةِ الأَرْضِ انْقَطَعَ عَنهم الْمَنُّ فعاشوا مِنْ غَلَّةِ أَرْضِ كَنْعَانَ في تلك السنة**›[7]. وكذلك يخبرنا سفر التكوين: ‹**وَهَؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ حَكَمُوا أَرْضَ أَدُومَ، قَبْلَما قام ملوك فِي إِسْرَائِيلَ**›[8]. ولا شك

---

[1] الهندي، إظهار الحق، جـ.1، ص215 – 225. سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص270 – 271.

[2] تثنية 1: 5 ‹وَ في عبر الأُرْدُنّ شرقا، في أَرْضِ مُوآبَ، أخذ مُوسَى يَشْرَحُ كلام هذه الشَّرِيعَةَ›.

[3] تثنية 31: 1 – 2.

[4] تكوين 14: 14 ‹فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ أَنَّ ابْنَ أَخِيهِ في الأسر، جَمَع مواليه الْمَوْلُودِينَ فِي بَيْتِهِ وعددهم ثلاثُ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ وتبعهم شمالا إلى دَانَ› .

[5] قضاة 18: 29 – 30.

[6] خروج 16: 35 .

[7] يشوع 5: 12.

[8] تكوين 36: 31 .

أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين كانوا يحكمون الأدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه[1].

وأخطر شاهد على أن التوراة لم يكتبها موسى هو أنها تسجل قصة موته،كما مر ذكره. وكيف يصدق العقل أن يحكي الشخص قصة موته ودفنه؟

المطلب الثالث: كاتب التوراة الحالية

إذا ثبت من شهادة النصوص المقدسة أن موسى قد كتب التوراة، وثبت أيضا من الملاحظات السابقة أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة المنسوبة إليه، فلا بد من أن يكون هناك توراة أخرى غير الأسفار الخمسة، وهي توراة موسى الحقيقية. وأين هي تلك التوراة؟

فمن الثابت أن موسى كتب بأمر الرب عن الحرب ضد عمالق[2]، وترد الإشارة إلى سفر يسمى حروب الرب[3]، يحتوي ولا شك على قصة الحرب ضد عمالق وعلى كل أعمال إقامة المعسكرات[4]، كما جاء في سفر الخروج[5] أن هناك سفرا آخر يعرف باسم «سفر العهد» قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهدا مع الله، ولا يحتوي هذا السفر إلا على أشياء قليلة. ففيه يروى أنه بمجرد أن عرف موسى رأي الشعب في العهد المبرم مع الله، كتب كلمات الله و وصاياه ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد في الصباح بعد إقامة بعض الطقوس، وبعد هذه القراءة دخل الشعب في هذا العهد

---

[1] سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص270.

[2] خروج 17: 14 «وقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اكتبْ خبر هَذَا النصر ذكرا في الْكِتَابِ وقل لِيَشُوعَ: سَأَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ».

[3] عدد 21: 14 «ولِذَلِكَ يقال فِي كِتَابِ حُرُوبِ الرَّبِّ:... ».

[4] سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص271.

[5] خروج 24: 7 «وَأخذ كِتَابَ الْعَهْدِ وَتَلاَهُ عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ».

بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم هذه الشروط بلا شك. ونظرا إلى ضيق الوقت الذي استغرقته كتابة العهد المبرم، وكذلك نظرا إلى طبيعة هذا العهد، كان حتما أن يكون السفر أقل حجما بكثير من التوراة الحالية[1].

ولما كانت توجد نصوص كثيرة في الأسفار الخمسة ولم يكن من الثابت أن موسى قد كتب أسفارا أخرى سوى الأسفار المذكورة. فلا يمكن أن يكون موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة. إذن أن التوراة التي كتبها موسى لم تكن من الأسفار الخمسة، بل كان سفرا مختلفا كليّا، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة في سفره في المكان الذي ارتآه[2].

إذا كانت التوراة الحالية لا يمكن أن تنسب إلى موسى، فمن هو كاتبها؟ يرى بعض المؤرخين أن الذي كتبها مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة، كما يرجحون أن يكون المؤلف هو عزرا الكاهن[3]. فلذلك سمى ابن حزم التوراة الحالية بالتوراة العزراوية نسبة إلى عزرا[4].

المطلب الرابع: فرضيات مصادر التوراة

تتفق الدراسات على أن التوراة قبل أن تكون مجموعة أسفار،كانت تراثا شعبيا لاسند له إلا الذاكرة التي نقلته بشكل شفوي من جيل إلى آخر، وأن مادة التقاليد الشفوية مرت بتطور كبير وظهرت عليها تغيرات قبل ظهورها في الكتابات. فلذلك لا نستغرب بوجود تعداد القصص التي تروي نفس الحادثة في التوراة مع اختلافات فيما بينها.

وهذا التعدد والاختلافات تستلزم افتراض تعدد المصادر التي يرجع إليها مدوّنوا أسفار التوراة. وأكد جون أستروك وجود المصدرين المختلفين في التوراة بعد ما لاحظ أن

---

[1] سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص271. وكذلك: الهندي، إظهار الحق، جـ.1، ص62 – 63.

[2] سبينوزا، رسالة في اللاهوت، ص271.

[3] ينظر مثالا: المرجع نفسه،، ص276 – 277، الهندي، إظهار الحق، جـ.1، ص207 – 208.

[4] ابن حزم، الفصل في الملل، جـ.1، ص198.

الإله المذكور في التوراة له تسميتين مختلفتين؛ تارة يعرف باسم يهوه **יהוה**، وتارة أخرى باسم إلوهيم **אלהים**، وأن النصوص التي عرف فيها الإله بهذين الاسمين المختلفين، تحمل روايتين متوازنتين. وبوجود هذا الاختلاف في تسمية الإله فتّش أستروك كل الفقرات، وعندئذ لاحظ مصادر أخرى لم تذكر اسم الإله، حتى وصل إلى نتيجة أن التوراة تصدر من أكثر من مصدرين[1].

ومن أهم مصادر التوراة التي ذكرها الباحثون هي:

1. المصدر اليهوي

وهو مصدر يحمل اسم يهوه علَما لإله العبريين الوطني. وهو يرجع إلى القرن التاسع أو العاشر قبل الميلاد، ورواته كانوا من مملكة يهوذا في الجنوب حيث كانت هذه التسمية شائعة فيها. وتتحدث هذه الوثيقة عن كيفية خلق العالم ثم خلق آدم، وقصة آدم والشجرة والحية وقصته مع الله، وقصة نوح والطوفان، ثم قصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنيه، ويحتوي أيضا على قصة مسلسل قيادة موسى لبني إسرائيل وخروجهم من أرض الفراعنة.

ويتميز النص اليهوي بأنه تصويري وغني بالاستعارات ويكاد يكون ساذجا ومليئا بالأساطير، ويظهر الإله في هذه الوثيقة بصورة مجسمة وبشرية[2]، كما يتميز بربطه القوي بين الدين والقومية[3]. ومن مظاهر هذا الربط الاهتمام الواضح بمفاهيم الأرض والملك، والتفاخر بالملكية والمملكة والحماس السياسي القومي، وربط ذلك بالعقائد والطقوس.

---

[1] كردوسي، نقد التوراة، ص 165.

[2] انظر مثلا: تكوين 3: 8 وما بعدها «وسَمِعَ آدَمُ وَامرَأَتُه صَوْتَ الرَّبِّ الإِلَهِ وهو يَتَمَشَّى فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ المَسَاء... ». ويظهر الإله كشخص يعيش مع الإنسان ويتعامل معه بصورة مباشرة كأنه هو أيضا بشر.

[3] محمد خليفة، مدخل نقدي، ص25.

وكذلك اعتباره «يهوه» إلها لبني إسرائيل والتركيز على ارتباط الرب بشعبه المختار[1].

2. المصدر الإلوهيمي

وهو مصدر يحمل اسم إلوهيم علَما على إله الإسرائيليين. وهذا النص يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد في مملكة إسرائيل الشمالية، حيث إن تسمية الإله بهذا الاسم منتشر فيها. وموضوعه الأحداث الخاصة بإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، ولا يظهر الرب في صورة بشرية مجسمة بل هو رب العالمين ورب الكائنات كلها، ولا يمكن رؤيته ومن ينظر إليه يموت.

ويتميز هذا المصدر بإبرازه للبعد القائم بين الإله والإنسان، ورفضه للوثنية، والاهتمام بالبعد الأخلاقي أكثر منه بالطقوس. كما يتمز بضعف الصلة فيه بين العناصر الدينية والعناصر القومية. فأصبح الاختيار والوعد الإلهي بني إسرائيل مشروطا بالتوحيد، وهو هدف ديني لا تشوبه عناصر عرقية. بالإضافة إلى ذلك، يعطي المصدر الإلوهيمي تسامحا أكثر مع المصريين من بقية المصادر، فهو يعتبر الجواري المصريات مسؤولات عن إنقاذ حياة أطفار بني إسرائيل، ومن بينهم موسى، وذلك لأنهن يخشين الرب[2].

وهذان المصدران اليهوي والإلوهيمي يحتويان على روايات وقصص، ونادرا ما توجد فيهما نصوص تشريعية. وربما كان قد حدث مزج بين الروايتين في القرن السابع قبل الميلاد قبل أن تنبثق بقية المصادر، وذلك بعد انهيار مملكة إسرائيل في الشمال[3].

---

[1] محمد خليفة، مدخل نقدي، ص25 – 26.

[2] المرجع نفسه، ص21 – 24.

[3] Encyclopedia Britannica, Vol. 3, p502

3. المصدر التثنوي

والمقصود هنا تثنية أو تكرار الشرائع والقوانين التي تلقاها موسى في سيناء، وتكملتها بالتشريعات المعطاه في مؤاب. ويؤكد النقاد أن المصدر الذي يتجلى بوضوح في أخر أسفار التوراة الخمسة، أي سفر التثنية، اعتمد على كتاب قديم عثر عليه الكاهن حلقيا أثناء تجديد بناء الهيكل وقد أدخل في صميم التوراة سنة 621 ق.م ضمن برنامج الإصلاح الديني الذي عمله الملك يوشيا[1].

ومما يميز هذا المصدر محاولته التوفيقية بين المصدرين اليهوي والإلوهيمي، وبين تراث الشمال وتراث الجنوب، أي تراث إسرائيل ويهوذا بعد انشقاق المملكة. فهو يحتفظ بالاتجاه القومي العنصري لليهوي ويضيف إليه المثالية الأخلاقية للإلوهيمي[2].

4. المصدر الكهنوتي

وهو يتألف من فصول كتبها الكهنة في عصر السبي البابلي وعصر ما بعده ، أي القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد، ويرجع بصورة عامة إلى زمن عزرا. فيعتبر المصدر الكهنوتي آخر مصادر التوراة من ناحية الظهور الزمني، ويدل على ذلك أسلوبه الأدبي ولغته، ومضامينه الدينية، كما أن الطقوس والشعائر والوصايا والأوامر العقائدية التي يضمها تدل جميعها على درجة من التطور توحي بتأخرها الزمني، وأنها تأتي في آخر مرحلة من مراحل تطور الديانة اليهودية وطقوسها[3].

ومن أهم ما يميز النص الكهنوتي تركيزه على العبادة وتنظيم الطقوس والشعائر والفروض الدينية والأحكام التشريعية. فمن الأمور التي يعالجها المصدر الكهنوتي قوانين السبت والختان والأعياد والمواسم الدينية، وكذلك كل ما يتعلق بالذبائح وثياب الكهنة

---

[1] محمد خليفة، مدخل نقدي، ص28.

[2] المرجع نفسه،ص29.

[3] المرجع نفسه، ص26.

وأنواع القربان والإيضاحات العدوية. ويحاول هذا المصدر استنباط طقوس من مناسبات تاريخية. ويبدو أن المؤرخ يستفيد من الأحداث التاريخية، ويستغلها للتدليل على تشريعاتها وتبريرها، كما يستخدم خيطا تاريخيا للربط بين أطراف تشريعاته الكهنوتية المتباعدة[1].

ولكن لم يكف كل هذا التعقيد حيث ذكر الباحثون أربعة مصادر لأسفار موسى الخمسة، فجاء الباحثون الآخرون مثل لودز Lods الذي وجد أن النص اليهوي يتضمن ثلاثة مصادر، وأن النص الإلوهيمي يتضمن أربعة مصادر، وأن سفر التثنية يتضمن ستة مصادر وأن النص الكهنوتي يحتوي على تسعة مصادر. وبذلك رفع لودز عام 1941 مصادر التوراة من أربعة إلى اثنين و عشرين مصدرا، كُتب كل واحد منها في زمن معين وبأسلوب مختلف عن مصادر أخرى[2].

وفيما يختص بعملية تركيب مادة هذه الوثائق المختلفة وتوحيدها في كتاب واحد سمي بالتوراة المنسوبة إلى موسى على الوضع الذي نعرفه اليوم، بعد أن كانت روايات مستقلة لا يرتبط بعضها ببعض، فقد تمت هذه العملية على مراحل متوالية تفصل بينها فترات زمنية متأخرة جدا تصل إلى ما بعد ظهور السيد المسيح[3].

---

[1] محمد خليفة، مدخل نقدي، ص27.

[2] موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة وتعليق حسن خالد (بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ط.3، 1990)، ص33 – 34.

[3] المرجع نفسه، 34.

المبحث الثالث

تدوين التوراة

تبيّن من المبحث السابق أن التوراة الحالية لم تأتنا وحيا، كما لم تنزل دفعة واحدة من السماء إلى الأرض، بل ألفها بشر مثلنا. وهي عبارة عن سجلّ تاريخي لم يتم جمعه بين عشية وضحاها. والواقع أن وضع التوراة في شكلها النهائي يتطلب زمنا طويلا امتد أكثر من ألف عام. والنتيجة المحتومة لامتداد زمن التأليف وطول عصر الجمع خضوع الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادة وحذفا، كما درج بعض النساخ التعليق على النص دون الإشارة فضمت تعليقاتهم إلى المتن.

إن المعلومات الأساسية عن تاريخ التوراة تاتي من التوراة نفسها ومما يلحق بها من أسفار اليهود. والتوراة -كما تبدو- عبارة عن سجل تقاليد وآداب اليهود القدماء، فالدراسات عن تاريخ التوراة هي في الحقيقة دراسة الكتاب المقدس، إذ أنه يعدّ أهم المصادر التي تبيّن لنا تاريخها التكويني، وأنه أصدق وثيقة وأقدسها عند المؤمنين بها. فأحسن سبيل لمعرفة تاريخ التوراة والظروف التي تحيط بها، هو الرجوع إلي تلك الأسفار نفسها. وعلى هذا، فأورد فيما يأتي قصة تدوين التوراة حسب ما ذكرته تلك الأسفار.

المطلب الأول: التوراة في زمن موسى ويشوع عليهما السلام

ذكر كتاب اليهود المقدس أن الرب أنزل التوراة على موسى في جبل سيناء لتعليمها بني إسرائيل[1]، ولكن في أثناء غياب موسى وذهابه إلى الجبل ومكث هناك أربعين

---

[1] خروج 24: 3 ‹فَجَاءَ مُوسَى وأَخْبَرَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ كَلامِ الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ...›،- وخروج 24: 12 ‹وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اصْعَدْ الْجَبَلَ إِلَيَّ وَانتظر هُنَاكَ حتى أُعْطِيَكَ لَوْحَيِ الْحِجَارَة وعَليهما الشَّرِيعَة والْوَصَايَا الَّتِي كَتَبْتُهَا لتَعلِيمِهم›،- وخروج 31: 18 ‹وَلَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنْ مُخَاطَبَةِ مُوسَى على جَبَلِ سِينَاءَ أَعْطَاهُ لَوْحَيِ الوصايا، وَهُمَا مِنْ حَجَرٍ مَكْتُوبَينِ بِإِصْبَعِ اللهِ›.

يوما ليتلقى "لَوحَي الحجارة والشريعة والوصية" من عند الله، ترك بنو إسرائيل شريعة موسى وعبدوا العجل. فلما عاد موسى ورأى قومه يرقصون حول العجل ألقى الألواح فتكسرت، ثم إن الله كتب له لوحين آخرين بدلا عنها[1]. وأن قبيل وفاته «كَتَبَ مُوسَى هَذِهِ الشريعة وَأعطاها لِكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي، حَامِلِي تَابُوتِ[2] عَهْدِ الرَّبِّ، وسَائِرِ شُيُوخِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.– وَقال لَهُمْ: «فِي نهاية السَّبْعِ السنين، فِي مِيعَادِ سَنَةِ الإِعفَاءِ مِنَ الدُّيُون، فِي عِيدِ الْمَظَالِّ، – عِنْدَمَا يَأتي جَمِيعُ بني إِسْرَائِيل ليروا وجه الرَّبِّ إِلَهِهِمْ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ، تُقرَأ هَذِهِ الشريعة فِي مَسَامِعِهِمْ جميعا»[3]. «وَلما فرغ مُوسَى من تَدْوِين كلام هذه الشريعة كلها فِي سفر،– قال للاَّوِيِّينَ، حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ:– خُذُوا سفر الشريعة هَذَا وَضَعُوهُ إِلَى جانب تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَهِكُمْ، فيَكُونَ هُنَاكَ عَلَيْكُمْ شَاهِداً»[4].

ثم بعد وفاة موسى، تولّى يشوع قيادة بني إسرائيل، وحينما بنى مذبحا ليهوه إله إسرائيل في جبل عيال «نَقَشَ يَشُوعُ هناك عَلَى حِجَارَةِ الْمَذْبَحِ بحضور بَنِي إِسْرَائِيل نُسْخَةً مِنْ الشَرِيعَةِ الَّتِي كتبها مُوسَى»[5] من قبل.

---

[1] خروج 34: 1 «وقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: انْحَتْ لَكَ لَوْحَي حَجَرٍ كالأَوَّلَيْنِ، وأنا أَكْتُبَ عَلَيْهِمَا الْكَلام الَّذي كان عَلَى اللَّوْحَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ كَسَرْتَهُمَا».

[2] التابوت من مقدسات بني إسرائيل وهو صندوق من الخشب يزعمون أن الله أمر موسى بصنعه على هيئة خاصة، وكان بنو أسرائيل يحملونه أمامهم في التيه، ولما بنى سليمان بيت المقدس جعله فيما يسمونه (قدس الأقداس) وهي حجرة صغيرة يستقبلونها في الصلاة. وقد ذهبت جميع هذه المقدسات بعد تدمير الهيكل زمن غزو نبوخذنصر. ينظر: بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس (القاهرة: دار مكتبة العائلة، ط.13، 2000)، ص209.

[3] تثنية 31: 9 – 11.

[4] تثنية 31: 24 – 27.

[5] يشوع 8: 32.

المطلب الثاني: التوراة وإصلاح الملك يوشيا

انقطع بعد عصر يشوع ذكر التوراة وخبرها، فلا يذكر اليهود في كتابهم التوراة التي كتبها موسى ولا ما كتبه يشوع على حجارة المذبح، وإنما ذكروا التابوت الذي وضع موسى فيه التوراة[1]، وأن في زمن النبي صموئيل **‹استَولى الفِلسطيّون على تابُوت العهد›**[2]، **‹وبقيَ تابوت العهد في بلاد الفلسطِيّين سبعةَ أشهُر›**[3].ثم أعيد إليهم بعد ذلك **فجعلوه** في قرية يعاريم، وبقي التابوت هناك عشرين عاما[4] إلى أن جاء داود فأصعده من هناك إلى أورشليم[5]، وجعله في خيمة[6].

وفي عهد سليمان وبعد بناء الهيكل **‹دعا الملك سُلَيْمَانُ شيوخ إِسْرَائِيلَ وَجَمِيعَ رُؤَسَاءِ الأَسْبَاطِ وَزعماء عَشَائِرِ بني إِسْرَائِيلَ إلى أُورُشَلِيمَ، لِيحملوا تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ مِنْ صِهْيَوْنَ مَدِينَةِ دَاوُدَ›**[7]، – **‹وَأَدْخَلَ الْكَهَنَةُ تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ فِي مِحْرَابِ الْهَيْكَلِ›**[8] الذي بناه سليمان. ولكن حين فتح سليمان التابوت **‹لَمْ يَكُنْ فِي التَّابُوتِ إلا لَوْحَا الْحَجَرِ اللَّذانِ وَضَعَهُمَا مُوسَى فِي حُورِيبَ، حيث عَاهَدَ الرَّبُّ بني إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أرض مِصْرَ›**[9].

---

[1] سعود عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (الرياض: أضواء السلف، ط.4، 1425 هـ / 2004م)، ص28.

[2] 1 صموئيل 4: 11

[3] 1 صموئيل 6: 1

[4] 1 صموئيل 7: 2 ‹وَبقيَ تابوت العهد فِي قَرْيَةِ يَعَارِيمَ مدّة عِشْرُونَ سَنَةً›.

[5] 2 صموئيل 6: 12 ‹فذهب داودُ وأصعَد التابوتَ مِن هناك إلى أورشليم بفرَح›.

[6] 2 صموئيل 6: 17 ‹ أدخلوا التابوت وأقاموه في مكانه وسَط الخيمة التي نصبَها له داود›.

[7] 1 ملوك 8: 1.

[8] 1 ملوك 8: 6.

[9] 1 ملوك 8: 9.

وبعد وفاة سليمان صعد ابنه رحبعام إلى كرسي الملك (931 – 914ق.م)[1]، «وما إن ثبّتَ رحبعامُ مُلكَه ورسّخه حتى ترك شريعة الربّ هو وجميعُ شعبه»[2].– وفعل شَعْبُ يَهُوذَا الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وأثاروا غضبه بخَطَايَاهم أكثر مما أثاره جميع آبَائِهِم»[3].

«وفي السَّنة الخامسة لمُلكه عاقبَهم الربُّ على خيانتهم له، فزحَف شِيشَقُ ملِك مصرَ على أورشليم،– في ألف ومئتي مَركبة وستّين ألف فارس وعدد لايُحصى من الجنود اللّوبيّين والسُكّيّين والكوشيّين الذين جاؤوا معه مِن مصر.– فاحتلّ مدُن يهوذا المحصّنة ووصل إلى أورشليم»[4]،– و «نهَب كلَّ ما في خزائن هيكل الربّ وقصرِ المَلك، وأخَذ تُروسَ الذهب التي صنَعها سليمان»[5]. ومنذ ذلك الوقت استولى فرعون مصر على أورشليم عاصمة اليهود الدينية وما فيها.

وبعد هذه الحادثة لم يشر كتاب اليهود إلى التوراة ولا إلى لَوحَي العهد إلا في زمن الملك يوشيا (640 – 609ق.م) الذي تولى الملك في يهوذا بعد سليمان بما يقارب ثلاثة قرون. وذلك أن «في السنة الثامنة عشرة ليُوشِيا، أرسل رئيسَ ديوانه شَافان بن أصَلْيا بن مَشُلّام إلى الهيكل ....– فقال حَلقيّا الكاهن العظيم لشافان رئيس الديوان: وجدتُ كتابَ الشريعة في الهيكل»[6].

وهذا الخبر يدل على أن اليهود كانوا قد فقدوا التوراة، وأنهم أيضا ضيعوا أحكامها، وما وجدوه في الواقع ليس فيه أي دليل على أنه التوراة[7]. إذ من المستبعد جدا

---

[1] 2 أخبار 9: 31.

[2] 2 أخبار 12: 1.

[3] 1 ملوك 14: 22.

[4] 2 أخبار 12: 2– 4، وكذلك 1 ملوك 14: 25.

[5] 1 ملوك 14: 26.

[6] 2 ملوك 22: 3 – 8.

[7] سعود، دراسات في الأديان، ص85.

أن يكون اليهود قد فقدوا التوراة كل هذه المدة الطويلة وهي موجودة في الهيكل مع أنه معبد عام وهم يبحثون عنها كل تلك المدة ولا يجدونها مع ما لها من القداسة في نفوسهم، ثم يجدها حلقيا الكاهن. هذا في الواقع مستبعد جدا، وليس بعيدا أن يكون حلقيا كتبها من محفوظاته ومعلوماته وادعى أنها سفر الشريعة ليرضي بذلك الملك يوشيا الذي كان له تديّن ورغبة في استقامة الشعب.

إننا لانملك أي دليل يؤكد أن سفر التثنية الحالي هو الذي ادعاه حلقيا. ولو سلمنا أن سفر التثنية الحالي هو الذي ادعاه حلقيا، فهو كما أكده لودز **Lods**، ليس له علاقة بسفر التثنية الموسوية، ومن الشواهد التي ذكرها هي:

1. خطاب موسى قبل موته هو إبلاغ الإسرائيليين الشرائع المنزلة عليه. نظرا لضيق الوقت الذي استغرقه موسى لإبلاغ تلك الشرائع، فلا بد من أن يكون خطابه أصغر من سفر التثنية الحالي ومن إصلاح يوشيا الكبير.
2. نبأ موت موسى، وهو يمثل خاتمة التوراة. وهذا جزء خطير لايمكن أن يصدق كل عاقل نسبته إلى موسى، إذ لا يمكن أن يسجل أي شخص قصة موته.
3. ذكر صفات المكان الذي تقام فيه العبادات. فموسى لم يحضر وقت تكوين الهيكل والمعبد، وهذا كان في عهد سليمان أي بعد موت موسى بقرون.
4. تكلم السفر عن الملوك، ولم يكن نظام الملكية يوجد في زمن حياة موسى.
5. تناقض ملحوظ بين بعض التشريعات في سفر التثنية والأسفار الأخرى في التوراة[1].

وهذا دليل على أن سفر التثنية لا يمكن نسبته إلى موسى.

[1] نقلا عن كردوسي، نقد التوراة، ص 180 – 181.

المطلب الثالث: كتابة عزرا للتوراة

وبعد الملك يوشيا بخمسة وعشرين سنة تقريبا أي سنة **586** ق.م هجم الملك نبوخذنصر البابلي على دولة يهوذا «**...فقتَل خيَرةَ شبّانِهم بالسيف حتى في بيت مقْدِسهم، ولم يُشفِق على فتىً أو عذراء، ولا على شيْخ أو كَهْل مُقعَد ....– وأحرَق بالنار هيكلَ الله وجميع قصُور أورشليم، وهدَم سُور المدينة، وأتلَف كلّ نفيس فيها. والذين نجَوا من السَيف سباهُم إلى بابِل حيث صاروا عَبيْدا له ولِبَنِيه حتى قيام دولة الفُرس**»[1]. وفقدت توراة يوشيا من بني إسرائيل مرة أخرى بسبب هذا التدمير الشامل.

ولما عاد بنو إسرائيل إلى أورشليم في زمن ملك الفرس «**اجتمَع الشعبُ كلّه بقلْب واحد في الساحَة التي أمام باب المِياه، وقالوا لعَزْرا الكاهن والعالِم بالشريعة، أن يُحضِر كتابَ شريعة موسى التي أمَر بها الربّ بني إسرائيل.– فأحضَر عزرا الكاهن كتابَ الشريعة أمام جميع الشعْب...**»[2] استجابة لطلبهم.

من أين وصلت إليه التوراة وبينه وبين موسى عليه السلام أكثر من ثمانية قرون، وقد فقدت التوراة قبل زمن عزرا قطعا؟ فعلى هذا يتبين أن التوراة التي كتبها عزرا ليست توراة موسى، وهي إما أن كتبها عزرا من محفوظاته وما وصل إليه من مدونات ومعلومات. وبالتأكيد لا يوثق بحفظه ولا ما وصل إليه من أوراق وكتب تنسب إلى موسى. وإما أن تكون من معلومات متوارثة في الأحكام الواجب على بني إسرائيل التزامها، دونها عزرا وزعم هو أو زعم كتّاب الكلام السابق أنها سفر شريعة موسى[3]. وعلى المدعي بخلاف الظاهر أن يأتي بدليل يثبت اتصال السند من عزرا إلى موسى.

---

[1] 2 أخبار 36: 17 – 20.

[2] نحميا 8: 1 – 2.

[3] سعود، دراسات في الأديان، ص87.

كما تبيَّن أنّ هذا السفر لم يكن بعينه سفرا أقرّه يوشيا من قبل[1]، لأن هذا السفر قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرّتين كاملتين في يوم واحد، على حين أن قراءة الكتاب الآخر قد احتاجت إلى أسبوع كامل. ورأى صاحب «قصة الحضارة» أن توراة عزرا الكبيرة كانت تحتوي على جزء كبير من توراة اليهود الحالية[2] مما جعل الباحثين يرجعون التوراة الحالية إلى عزرا الكاهن.

المطلب الرابع: ترجمة التوراة

أول حركة لترجمة التوراة ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد، حينما انتشر اليهود خارج فلسطين ونسوا لغة كتبهم العبرية. وكانت اللغة اليونانية لغة سائدة آنذاك في مناطق البحر الأبيض المتوسط، فانفصلت إذن لغة التوراة من أهلها. فلذلك قام أحبار اليهود بترجمة كتبهم إلى اليونانية التي تسمى بالترجمة السبعينية لسبب مذكور.

ولما ظهرت المسيحية اتخذت من الترجمة السبعينية دليلا على صحة العهد الجديد، فاستنكرها اليهود وظهرت تراجم يونانية أخرى مثل ترجمة أكويلا **Aquila** وترجمة ثيودوشيون **Theodotion** وترجمة سيماخوس **Symmachus**، وقد ظهرت هذه التراجم في أواسط القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي[3].

وفي عصر المسيح انتقلت سيطرة العالم من اليونانية إلى الرومانية وأصبحت اللغة اللاتينية منتشرة في مناطق اليهود والنصارى، فترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية. ومن الصعب علينا أن نحدد متى ترجم الكتاب المقدس إلى اللاتينية، ولكنا نستطيع أن نقول أنها تمت فيما بين القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، حيث انتشرت الترجمة اللاتينية

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر، جـ.2 (بيروت و تونس: دارالجيل، 1998)، ص366.

[2] المرجع نفسه، ص367.

[3] Encyclopedia Britannica, Vol. 3, p. 505, Encyclopedia Americana, Vol. 3, p. 619.

للنص الكامل من العهدين القديم والجديد في عام 250م[1]. ثم بعد ذلك نشّر جروم Jerome ترجمته للكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية الشعبية المشهورة بفولجاتا Volgata Editio عام 404م، وتحتوي على العهدين القديم والجديد. فالعهد القديم مترجم من السبعينية للتطابق بينهما، أما العهد الجديد فمن اليونانية التي هي لغته الأصلية. وأصبحت هذه الترجمة معتمدة لدى الكنائس الرومانية ومنها ترجم الكتاب إلى لغات أخرى[2].

والذي يجلب انتباهنا أن ترجمة التوراة تختلف من لغة إلى أخرى ومن طائفة إلى أخرى كما مرت بتطورات عديدة[3] مما يجعلنا نتساءل: لماذا تتنوع تراجم التوراة حتى في اللغة الواحدة مع أن النص المترجَم واحد؟ أ ليس هناك عالم يستطيع أن يترجمها ترجمة دقيقة وصحيحة، وخاصة أنها ترتبط بحياة مئات الملايين من الناس؟

إن المشكلة لا تقع في وجود المترجمين المتمكنين أو عدمهم، بل ترجع إلى طبيعة النص المترجم كما ترجع إلى دوافع المترجمين من عملهم. أما ما يتعلق بطبيعة النص فلا يجد المترجمون النص الأصلي الكامل، إضافة إلى أن النصوص التي وصلت إليهم قد مرت بها عملية النقل والنسخ عبر أجيال عديدة، فتعتبر تلك النصوص صورا طبق صور...طبق الأصل. وهي لا تأمن من الأخطاء في الكتابة أوالقراءة أوتهجئة الحروف وفصلها في الكلمات أو لصقها، أوتكرار كتابة الحروف والكلمات أو تركها وما إلى ذلك. ونصوص التوراة مثلها مثل باقي النصوص القديمة التي تشهد عملية النقل المتكرر، وليس لدينا أي دليل على أنها سليمة من مثل تلك الأخطاء[4]. والاختلافات فيما بينها نتيجة حتمية لسوء عملية النقل والنسخ.

---

1) Believe Religious, Art. Septuagint.

2) المرجع نفسه.

3) لمعرفة تفاصيل هذا الموضوع ينظر: لواء أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية (القاهرة: مكتبة وهبة، 1407هـ/1987م).

4) Encyclopedia Americana, Vol. 3, p. 621, Encyclopedia Britannica, Vol. 3, p. 507.

إذا سلمنا افتراضا أن التوراة الحالية هي تلك التي أحضرها عزرا والتي ادّعى أنها توراة موسى، فتاريخها يرجع إلى نحو **800** عام بعد موت صاحبها. وكذلك النص الحالي ينقطع سنده من النص العزراوي بأكثر من **1200** عام. وفي خلال هذه المدة قد تمت إعادة النسخ بالخط اليدوي. حينما يتأمل الشخص الأخطاء التي يمكن وقوعه في إعادة النسخ بجهاز الكتابة الآلي، فلا يصعب عليه أن يقبل فكرة حدوث الأخطاء بالخط اليدوي. فعلى المترجم -قبل القيام بمهمته- أن يقارن تلك النسخ قدر الإمكان حتى يستطيع أن ينتج ترجمة قريبة من الأصل المحتمل. والملاحظ أن نص التوراة ليس كما وصل إلينا الآن، فالنص العبري القديم مكتوب بدون الشكل أو الحروف المتحركة[1]، كما أن النص اليوناني مكتوب من غير فصل بين الكلمات، كل كلمة ملتصقة بالتي قبلها وبعدها[2].

وأما دوافع الترجمة فيكفينا دليلا عليها وجود الترجمة لكل فرقة دينية، فالترجمة المعتمدة عند اليهودية ليست هي التي لدى المسيحية، كل يترجم حسب ما يناسب مصلحته. وترجمة التوراة والكتاب المقدس بصفة عامة ليست بالضرورة متماثلة، فهي تختلف بحسب الطوائف التي أصدرتها وبحسب الظروف التي أحاطت بإصدارها. فكما تختلف الترجمة عند الطوائف المختلفة، تختلف أيضا في الأزمان التي صدرت فيها لاختلاف الظروف المحيطة بها.

طبعة دواي-ريمس**Douay-Rheims** مثلا، وهي أقدم ترجمة إنجليزية "معتمدة" عن **Volgata-Editio** اللاتيني، أصدرتها الكنيسة الكاثوليكية في العام **1582**م للعهد الجديد والعام **1609**م للعهد القديم ردا على الترجمة البروتستانتية التي صدرت في وقتها، منها ترجمة مارتن لوثر **Martin Luther** الألمانية. وهي بطبيعة الحال اختلفت عن تلك

---

[1] لمعرفة الصفحة النموذاجية للتوراة العبرية القديمة، ينظر:

Encyclopedia Americana, Vol. 3, Art. Torah, no page.

[2] لمعرفة الصفحة النموذاجية للتوراة اليونانية القديمة، ينظر: المرجع نفسه، دون صفحة.

الترجمة كما اتسمت باشتمالها على عدة ملاحظات جدلية عنيفة ضد ما أسمته هرطقة البروتستانت[1].

وبالمقابل، وردًا على هذه الطبعة الكاثوليكية، أصدرت كنيسة إنجلترا التي كان يرأسها الملك هنري Henry الثامن بعد أن فصلها عن البابا وجعلها كنيسة بروتستانتية مستقلة، أصدرت في العام 1611م طبعتها الخاصة بها وهي المسماة «طبعة الملك جيمس King James Version» وسميت أيضا «الطبعة المعتمدة Authorized Version[2]».

وفي عام 1881م جرى تعديل الترجمة لاكتشاف مخطوطات أقدم تاريخها مما اعتمدت عليه الطبعة المعتمدة وصدرت بدلا منها ما سمي «الطبعة المعدلة Revised Version»، ثم عدلت أيضا عام 1952م فصدر ما سمي «الطبعة القياسية المعدلة Revised Standard Version»، وتكرر التعديل عام 1971م مع الاحتفاظ بالاسم نفسه[3]، وقد ورد في مقدمة هذه الطبعة الأخيرة تعليق نصه: «اشتملت طبعة الملك جيمس على عيوب جسيمة وهي من الكثرة وعلى درجة من الخطورة مما اقتضى تعديلها....إلخ»[4].

هذه صورة عن تعديل ترجمات الكتاب المقدس والاختلاف فيما بينها في لغة واحدة، والاختلاف أكثر وأشدّ في اللغات المختلفة وفي الطوائف المختلفة.

---

[1] محمد فاروق، المسيحية والإسلام، ص63 -65.

[2] المرجع نفسه، ص65.

[3] Preface of The Reviced Standard Version of English Bible (New York, Glasgow & Toronto, The Bible Societies, no year), p. iii.

[4] المرجع نفسه، صiii.

الفصل الثاني

القرآن مصدريته وتدوينه

المبحث الأول: التعريف بالقرآن

المبحث الثاني: مصدرية القرآن

المبحث الثالث: تدوين القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

يعتقد المسلمون أن القرآن وحي من عند الله لفظا ومعنى على محمدﷺ بواسطة جبريل. وهو محفوظ في صدور المسلمين ومدون في الصحائف منذ عصر الرسول. وقد تم جمعه في المصحف الواحد في عصر خليفته الأول وتعميمه في عصر خليفته الثالث.

يبحث هذا الفصل مدى صحة هذا الاعتقاد الذى لايصدقه غير المسلمين الذين يحاولون تبيانه بأنه ليس من عند الله سبحانه، بل هو من تأليف بشري ولا يأمن من النقص والزيادة في عملية نقله من جيل إلى آخر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

التعريف بالقرآن

المطلب الأول: مفهوم القرآن

القرآن كلمة من أصل عربي مشتقة من فعل «قرأ»، وهو مصدر على وزن فُعْلان (بضم الفاء). ولفعل قرأ مصدران آخران: قِراءة و قَرءاً، وهذه المصادر الثلاثة بمعنى واحد. وأصل معنى القُرآن في اللغة الجمع، قَرَأْتُ الشيءَ قُرْآناً: جَمَعْتُه وضَمَمْتُ بعضَه إلى بعض[1].

وكلمة قرآن يمكن أن تكون مصدرا بمعنى اسم مفعول (مجموع)، أو تكون مصدرا بمعنى اسم فاعل (جامع)[2]. أما كونه مجموعا فلأنه مجموع السور والآيات، أو مجموع المعاني السامية والحقائق العظيمة، والحلول المحكمة لكل مشكلات الإنسانية، وصنوف الخير والبر والعدالة، أو لأن الحفظة يحفظونه فهو مجموع. وأما كونه جامعا فلأنه جامع للسور والآيات، أو جامع للمعاني السامية، والحلول المحكمة لكل مشكلات الإنسانية، وصنوف الخير والبر والعدالة[3].

وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمدﷺ بكامله، فصار علَما له. وقد يطلق على كل آية من آياته، فإذا سمعنا من يتلو آية من القرآن صح أن نقول إنه يقرأ القرآن، وفقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [4].

أما القرآن في المصطلح الإسلامي فقد عرفه العلماء أنه كلام الله المعجز المنزل على

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، جـ.1، حرف الألف فصل القاف (بيروت: دار صادر، د.ت)، ص 133.

[2] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، (الكويت: دار القلم، ط.4، 1977)، ص5.

[3] محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ط.3 (بيروت: المكتب الإسلامي، 1410هـ/1990م)، ص38.

[4] الأعراف: 204.

نبيه محمد بن عبد الله، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته[1].

ويتضح من هذا التعريف أن إضافة الكلام إلى الله تمييز له من كلام البشر والملائكة والجن.

والمعجز إشارة إلى أن القرآن أعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله.

وكلام الله مشترك بين القرآن وغيره من الكتب الأخرى التي نزلت على الأنبياء السابقين. فالتوراة كما أوحي به إلى موسى عليه السلام، والإنجيل كما أوحي به إلى عيسى عليه السلام، والزبور كما أوحي به إلى داود عليه السلام وغيرها من الكتب السماوية، يصدق عليها أنها كلام الله. ولكن قيد المنزل على محمد ﷺ خص كلام الله بالقرآن الكريم. وبهذا تميز القرآن عن بقية الكتب السماوية الأخرى، كما تميز عن الكلام الإلهي الذي ألقاه الله إلى ملائكته ليعملوا به.

ولما كان القرآن نزل على الرسول بلفظ عربي مبين، فقد تميز كذلك عن غيره من الكتب السماوية التي لم تكن بلفظ عربي.

وقيد المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته مخرج للآيات التي نسخت تلاوتها فلم تعد مكتوبة في المصحف، ولبعض القراءات التي نقلت إلينا بطريق الآحاد، وللأحاديث القدسية والأحاديث النبوية، وهذه كلها لاتُتعبد بتلاوتها.

الأحاديث النبوية التي هي كلام الرسول، ليست كلام الله قطعا. أما الأحاديث القدسية فهي ما تلقى الرسول مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه. وهذا القسم وإن كان ما فيه من المعلومات منسوبا إلى الله، لكنه –من حيث هو الكلام– منسوب إلى الرسول، لأن الكلام إنما هو منسوب إلى واضعه وقائله الذي ألفه على نحو خاص ولو كان ما فيه من المعنى قد تواردت عليه الخواطر وتلقاه الآخِر عن الأول. فالحديث القدسي خارج من القرآن لأنه منزّل بمعناه فقط.

---

[1] دراز، النبأ العظيم، ص9. وكذلك: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، (بيروت: دار العلم للملايين، ط.18، 1990)، ص21.

وهذا القرآن قد نقل إلينا بالتواتر بمعنى أنه وصل إلينا برواية جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في كل مراحل السند من أوله إلى آخره، عن رسول الله كما نطق به من غير تحريف أو تبديل أو تعديل بالزيادة والنقصان[1].

المطلب الثاني: الموضوعات العامة للقرآن

للقرآن آيات وسور، منها الطوال والقصار. والآية هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن، والسورة هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع. وقد أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا أخر منه مقدم، ولا خلاف فيه بين المسلمين[2]. فقد كان جبريل يتنزل بالآيات على رسول الله ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل[3]. وكان جبريل يعارض رسول الله بالقرآن كل عام مرة في رمضان، وعارضه في العام الأخير من حياته مرتين[4]، وكان ذلك العرض على الترتيب المعروف الآن، إذ لا يمكن أن يعرض القرآن من أوله إلى آخره من غير مرتب الآيات في سورها. ومن المعلوم الذي لا خفاء فيه أن الرسول قد كان يؤمّ أصحابه في الصلوات

---

[1] سيأتي البيان عن تواتر القرآن في المبحث الثالث من هذا الفصل.

[2] جلال الدين السيوطي (849 – 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، جـ.1 (بيروت– لبنان: دار إحياء العلوم، ط.1، 1407هـ/1987م)، ص171.

[3] روى أحمد في مسنده أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده يقول ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وينزل عليه الآيات فيقول ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وينزل عليه الآية فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. ينظر: مسند أحمد بن حنبل، جـ.1، باب مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه (بيروت–لبنان: دار الفكر، د.ت)، ص57.

ولمزيد من الأحاديث ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب كاتب النبي، و باب تأليف القرآن (بيروت–لبنان: دار الفكر، 1401هـ/1981م)، ص99 – 102.

[4] البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي، ص101 – 102.

الخمس، لا يخلو بذلك في سفر ولا حضر، فقرأ في الركعتين من كل صلاة بسورة مع فاتحة الكتاب ويسمعهم في الغداة والعشي، وكذلك في النوافل.

وبهذا يكون ترتيب أيات القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا توقيفيا لا مراء في ذلك. إذ أن قراءة الرسول للقرآن بمشهد من الصحابة على ترتيب آياتها، وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبا سمعوا النبي يقرأ على خلافه.

أما ترتيب السور فأمر مختلف فيه، هل هو توقيفي أم اجتهادي؟ فالظاهر أن ترتيب السور ليس بتوقيف قولي وإنما بمجرد استناد فِعليّ من الرسول. فعلى هذا ذهب بعض العلماء إلى أن ترتيب السور نتيجة اجتهاد الصحابة واختيارهم، وليس أمر أوجب الله. ومما يدل على ذلك اختلاف مصاحف السلف من الصحابة كعلي ابن أبي طالب وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم من ناحية ترتيب السور. وهذه المصاحف ليست بترتيب المصحف العثماني.

برغم من اختلاف العلماء عما إذا كان ترتيب سور القرآن توقيفيا أو اجتهاديا، فهم اتفقوا على أنّ القرآن يتكون من 6000 آية وزيادة منتشرة في 114 سورة[1].

ويمكننا أن نخلص من تلك الآيات والسور التي أنزل على محمدﷺ في 23 عام من الوقت، موضوعاتها العامة، وهي كل ما اشتمل عليه القرآن من أحكام وتوجيهات ونظم وإرشادات...إلخ، والتي تتمثل فيما يأتي:

1. ما يجب اعتقاده والإيمان به، مثل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يجري فيه من ثواب وعقاب.
2. الأحكام العملية المتعلقة بأفعال المكلفين، مثل الحلال والحرام والجواز والكراهية والندب، مما يتعلق بتنظيم علاقاتنا بالله أولا وبالمخلوقين ثانيا، واشتملت عليه أبحاث علم الفقه من عبادات ومعاملات وحدود وعقوبات.

---

[1] جدول ترتيب سور القرآن في صفحة 50.

3. قواعد الأخلاق ومبادئ السلوك الإنساني، التي لاينظم شأن الجماعة الإنسانية إلا بها، سواء في تقريرها النظري أو تطبيقها العملي في حياة الإنسان الواقعية وفي علاقاته بغيره من الناس أفرادا كانوا أو جماعات.
4. توجيه الفكر الإنساني إلى النظر في الكون، والتأمل في مخلوقات الله وآثار قدرته وما يجب له من صفات هو بها أحق؛ وهي له ألزم؛ ليستدل الإنسان بذلك على وجوده ووحدانيته واستحقاقه لكل صفات الكمال ومقوماته الألوهية، مما يقتضي الخضوع لأوامره والإذعان لشرائعه.
5. حكاية أخبار السابقين للاعتبار بأحوالهم والاتعاظ بقصصهم، والوقوف على سنن الله في خلقه وقوانينه في توجيههم وإرشادهم إلى ما يصلح شئونهم في دنياهم ويضمن لهم النجاة في أخراهم.
6. تبشير العباد وتخويفهم (الوعد والوعيد)، إما عن طريق الحياة الدنيا وإما عن طريق الترغيب في نعيم الآخرة، أو التخويف من عذابها[1].

المطلب الثالث: لغة القرآن

يعتقد المسلمون أن القرآن كتاب إلهي أنزل الله على نبيه محمدﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ليكون هدى للناس أجمعين[2]. وهم يعتقدون أن لغة القرآن العربية وحروفها وحي من عند الله[3]، وهم –برغم من لغتهم الوطنية المختلفة– يقرؤون القرآن العربي، ولو كان بعضهم لايفهمون معناه. فاللغة العربية لغة مقدسة في الإسلام، وهي لغة عبر بها الله عن إرادته القرآنية.

---

[1] محمد عبد الرحمن بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في الحياة الفرد والمجتمع (حيدا–بيروت: المكتبة العصرية، 1980)، ص150 – 152.

[2] البقرة: 185 ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾.

[3] الشعراء: 195 ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾، و فصلت: 44 ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾

ترتيب سور القرآن

1. سورة الفاتحة
2. سورة البقرة
3. سورة آل عمران
4. سورة النساء
5. سورة المائدة
6. سورة الأنعام
7. سورة الأعراف
8. سورة الأنفال
9. سورة التوبة
10. سورة يونس
11. سورة هود
12. سورة يوسف
13. سورة الرعد
14. سورة إبراهيم
15. سورة الحجر
16. سورة النحل
17. سورة الإسراء
18. سورة الكهف
19. سورة مريم
20. سورة طه
21. سورة الأنبياء
22. سورة الحج
23. سورة المؤمنون
24. سورة النور
25. سورة الفرقان
26. سورة الشعراء
27. سورة النمل
28. سورة القصص
29. سورة العنكبوت
30. سورة الروم
31. سورة لقمان
32. سورة السجدة
33. سورة الأحزاب
34. سورة سبأ
35. سورة فاطر
36. سورة يس
37. سورة الصافات
38. سورة ص
39. سورة الزمر
40. سورة غافر
41. سورة فصلت
42. سورة الشورى
43. سورة الزخرف
44. سورة الدخان
45. سورة الجاثية
46. سورة الأحقاف
47. سورة محمد
48. سورة الفتح
49. سورة الحجرات
50. سورة ق
51. سورة الذاريات
52. سورة الطور
53. سورة النجم
54. سورة القمر
55. سورة الرحمن
56. سورة الواقعة
57. سورة الحديد
58. سورة المجادلة
59. سورة الحشر
60. سورة الممتحنة
61. سورة االصف
62. سورة الجمعة
63. سورة المنافقون
64. سورة التغابن
65. سورة الطلاق
66. سورة التحريم
67. سورة الملك
68. سورة القلم
69. سورة الحاقة
70. سورة المعارج
71. سورة نوح
72. سورة الجن
73. سورة المزمل
74. سورة المدثر
75. سورة القيامة
76. سورة الإنسان
77. سورة المرسلات
78. سورة النبأ
79. سورة النازعات
80. سورة عبس
81. سورة التكوير
82. سورة الانفطار
83. سورة المطففين
84. سورة الانشقاق
85. سورة البروج
86. سورة الطارق
87. سورة الأعلى
88. سورة الغاشية
89. سورة الفجر
90. سورة البلد
91. سورة الشمس
92. سورة الليل
93. سورة الضحى
94. سورة الشرح
95. سورة التين
96. سورة العلق
97. سورة القدر
98. سورة البينة
99. سورة الزلزلة
100. سورة العاديات
101. سورة القارعة
102. سورة التكاثر
103. سورة العصر
104. سورة الهمزة
105. سورة الفيل
106. سورة قريش
107. سورة الماعون
108. سورة الكوثر
109. سورة الكافرون
110. سورة النصر
111. سورة المسد
112. سورة الإخلاص
113. سورة الفلق
114. سورة الناس

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهذا هو الاعتقاد الأساسي الذي يضمن بقاء القرآن حرفا ومعنى إلى آخر الزمان، إضافة إلى اعتقاد أن حفظ القرآن شرف لكل مسلم، فنجد جماعة غفيرة لا يحصى عددهم من المسلمين في جميع أنحاء العالم، وهم يحفظون القرآن عن ظهر قلب، كما أن الاستماع لتلاوة آيات القرآن وتسجيلاتها عبادة وتمتع لهم لجمالها وقيمتها الدينية.

تماشيا مع الاعتقاد أن الله أنزل القرآن على محمدﷺ حرفا ومعنا وقد أنزل بالعربية، يعتقد المسلمون أنه لا يوجد إلا القرآن العربي. كما أن اعتمادهم على ما ثبتت قرآنيته وهو المنقول بالتواتر من السلف إلى الخلف يستلزم الاعتماد على النص العربي، لأن الاعتماد على النسخ الأخرى غير المتواترة عربية كانت أم غير عربية ينافي حفظ القرآن بطريق التواتر. فإدامة سلسلة التواتر لا تكون إلا بإدامة تحديد الألفاظ ومنع أحداث أي لفظ غير متواتر حفظا لمناعة مكان القرآن وقوة روايته من سلف إلى خلف وتخليدا لامتيازه بتلك المناعاة والقوة من بين سائر الكتب.

وكون القرآن لا يقبل الانفكاك عن لغته العربية التي نزل عليها لا ينافي ترجمته إلى لغات أخرى[1]، غير أن تلك التراجم ليست قرآنا كما لا يصح أن تسمى التفاسير قرآنا وإنما معاني القرآن فلا يُتعبَّد بتلاوتها[2]، ولا تقوم مقام القرآن فى الصلاة لمن يحسن النطق به على اتفاق العلماء. أما للعاجز عن النطق بالقرآن العربي فقد اختلفت فيه المذاهب. ذهب علماء الحنفية إلى جواز قراءة الفاتحة في الصلاة بغير العربية للعاجز عنها ولم تكن له فرصة لتعلمها، بأن يصلي بترجمتها بشرط أن لا يخل المعنى[3]. وهذا يخالف المذاهب

---

[1] استدل الشاطبي على صحة ترجمة القرآن وجوازها بصحة تفسير القرآن وجوازها باتفاق أهل الإسلام. ينظر: أبو إسحاق الشاطبي (توفي 790هـ)، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق محمد الخضر حسين التونسي، جـ.2، (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، د.ت)، ص46.

[2] مصطفى صبري، مسألة ترجمة القرآن (القاهرة: مكتبة السلفية، د.ت)، ص135.

[3] علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني(توفي 593هـ)، متن بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، تحقيق حامد إبراهيم كرسون ومحمد عبد الوهاب بحيري، جـ.1 (القاهرة:مطبعة محمد علي صبيح، ط.1، 1355هـ)، ص14.

الأخرى، إذ إن المالكية[1] والشافعية[2] والحنبلية[3] كلها تذهب إلى عدم صحة الصلاة إلا بالقرآن العربي، ويعوض العاجز عنه بما يحفظه من القرآن أو بشيء من ذكر الله.

الترجمة ليست دائما مرآة عاكسة للأصل، وذلك يعود إلى طبيعة المحتوى والشكل؛ المحتوى يتشكل في المعنى والرسالة، والشكل يحدده التنوع التركيبي والمعجمي في إمكانيات التعبير في اللغة المتن واللغة المستهدفة. كما يعود إلى الخبرة الفردية للمترجم وإلى خياراته الأسلوبية. والأسلوب سمة شخصية لصاحبه، وهو يختلف من لغة إلى أخرى كما يختلف على حساب الموقف والسياق والعاطفة. ولا جدال بأن لكل عصر سماته الأسلوبية الخاصة تبعا للنمط الفكري والجو الثقافي والظروف الاجتماعية والنفسية، وقد يكون للبيئية نفسها أثر في تمايز الأداء اللغوي.

فالترجمة عمل لا يدخل حدود الكمال، ولا يمكن أن يكون النص المترجم مكافئا للنص الأصلي. وهذا أمريظهر بوضوح عند استعمال طريقة إعادة الترجمة. الاختلاف بين النص الأصلي وبين النص الذي أنتجته عملية إعادة الترجمة برهان على عدم إمكانية التكافؤ الترجمي. فعلى ذلك تمنع المساواة بين القرآن وترجمته في القداسة والنسبة إلى الله تعالى. هذا بالإضافة إلى أن المعاني الأصلية للقرآن لا يمكن حفظها عند النقل إلى أي لغة، ولا سيما الإعجاز والمعاني الثانوية التابعة له. القرآن هو الذي أنزله الله بلفظه ومعناه، وهو الذي اختار لفظه من بين الألفاظ ومعناه من بين المعاني. أما الترجمة فمن صنع البشرالذي يحتمل وقوع الخطاء فيها.

---

[1] محمد بن يوسف العبدري (توفي 897هـ)، التاج والإكليل لمختصر خليل، جـ.1 (بيروت: دار الفكر، ط.2، 1398هـ)، ص518.

[2] محمد بن إدريس الشافعي (150 – 204هـ)، الأم، جـ.1 (بيروت: دار المعرفة، ط.2، 1393هـ)، ص102.

[3] موفق الدين بن قدامي (541 – 620هـ)، المغني، جـ. 1، ص526 – 527، وشمس الدين ابن قدامي، الشرح الكبير، جـ. I، ص530 – 531، كلاهما في مجلد واحد ((بيروت: دار الكتاب العربي، 1403هـ/1983م).

المطلب الرابع: تعدد قراءات القرآن

نجد في الأحاديث الصحيحة ما يفيد أن الرسول صرح بنزول القرآن على سبعة أحرف. ومن أوضح هذه الأحاديث مارواه البخاري، أن النبي قال بعد أن استمع لاختلاف قراءة عمر وهشام لسورة الفرقان: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»[1]. ولقد كان النبي يصرح بهذا كل التصريح حين قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستعيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف»[2].

اختلف العلماء في تحديد المراد من سبعة أحرف الواردة في الحديث، وما أجمع عليه المسلمون هو أنها توسعة من الله ورحمة على الأمة، إذ لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول على عادة نشأوا عليها لشقّ عليهم[3]. وذكر السيوطي ثلاثين قولا من آراء العلماء، وأكثرها متداخل فيما بينها[4]. وذلك لأنه لم يرد نص يحدد الأحرف السبعة والمراد بها. وقد كان الرسول يعلم أصحابه كيفية القراءة والأداء هذا على وجه وذاك على وجه آخر. وبعد وفاة الرسول تتابع الناس على ما عرفوه من القراءات.

إن القراءات القرآنية من المباحث الشائكة لصلتها الكبرى بنزول القرآن. ولكن لأن لا نخرج من نطاق بحثنا، فلنكتفي بذكر أقوال بعض العلماء في هذا الباب ولنترك الباقي للبحوث المتخصّصة. قال ابن جرير الطبري (توفي 310هـ) إن معنى الأحرف السبعة سبع لغات أو ألسن من بين ألسن العرب التي يعجز عن إحصائها، وإن الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن هي «لغات سبع في حروف واحد وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، جـ. 6، باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف، ص100.

[2] المرجع نفسه.

[3] بدرالدين محمد بن عبد الله الزركشي (توفي 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، جـ.1 (بيروت: دار الفكر، ط.3، 1400هـ/1980م)، ص227.

[4] السيوطي، الإتقان، ص130 -142.

واتفاق المعاني، كقول القائل: «هلم وأقبل وتعال وإليّ ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعنى»[1].

ورفض ابن قتيبة (213 – 276هـ) صحة هذا القول، ورأى أنها الوجوه السبعة التي تختلف بها لغات العرب، وهذه الوجوه تتفرق في القرآن ما بين كلمة وأخرى[2]، وبذلك أنّ من زلّ عن ظاهر التلاوة بمثله أو من تعذّر عليه ترك عادته اللغوية وخرج إلى نحو ما قد نزل به، فليس بملوم ولا معاقب عليه[3]. وإلى هذا الرأي الأخير ينتمي كثير من العلماء.

ولعل أجمع الأقوال وأشملها في تحديد تلك الوجوه، ما فصّله صبحي الصالح في الوجوه السبعة التي لا يخرج عنها اللفظ القرآني مهما يتعدد أداءه وتتنوع قراءته، وهي:

1. الاختلاف في وجوه الإعراب، سواء أتغير المعنى أم لم يتغير. فمما تغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ ﴾[4]، فقد قرئ: ﴿فَتَلَقَى ءَادَمَ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٌ﴾ ، ومما لم يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى:﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[5] فقد قرئ: ﴿وَلاَ يُضَآرٌ﴾.
2. الاختلاف في الحروف، إما بتغير المعنى دون الصورة، مثل ﴿ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾[6]، فقد قرئ: ﴿نُنْشُرُهَا﴾، والمكتوب «مسرها» وإما بتغير الصورة دون المعنى، مثل

---

[1] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، جـ.1 (بيروت: دار الفكر، 1398هـ/1978م)، ص20.

[2] عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ،تحقيق :السيد أحمد صقر (القاهرة: دار التراث، ط.2، 1393هـ/1973م) ،ص34.

[3] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (القاهرة: مؤسسة المختار، ط.1، 2003)، ص57 – 58.

[4] البقرة: 37.

[5] البقرة: 282.

[6] البقرة: 259.

المصيطرون و المسيطرون من قول الله تعالى: ﴿ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾[1]. وقد رسم في المصحف بالصاد المبدلة من السين التي هي الأصل. فوافقت قراءة الصاد رسم المصحف تحقيقا، و قراءة السين رسم المصحف تقديرا.

3. اختلاف الأسماء في إفرادها وتثنيتها وجمعها وتذكيرها وتأنيثها، مثل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾[2]. فقد قرئ: ﴿ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ﴾ بالإفراد. وأنها رسمت في المصاحف العثمانية «لامـسـهـم» لخلوّها من الألف الساكنة.

4. الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة يغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى، وإنما تتفاوتان بجريان اللسان بإحداهما لدى قبيلة دون أخرى، كقول الله تعالى: ﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾[3] فقد قرئ: ﴿كَالصُّوفِ الْمَنفُوشِ﴾. أو يكون بين الكلمتين المبدلتين تقارب في المخارج يسمح بالتناوب بينهما، كقوله تعالى: ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾[4]، وقد قرئ: ﴿وَطَلْعٍ مَّنضُودٍ﴾.

5. الاختلاف بالتقديم والتأخير فيما يعرف تقديم أو تأخيره في لسان العرب العام، وفي نسق التعبير الخاص، مثل قوله تعالى: ﴿ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾[5] فقد قرئ: ﴿فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ﴾.

6. الاختلاف بشيء يسير من الزيادة والنقصان جريا على عادة العرب في حذف أدوات الجر والعطف تارة وإثباتها تارة أخرى. ولذلك لم تحفظ هذه الضروب من الزيادة والنقص إلا في أحرف قليلة محدودة مع التنبيه على شذوذ كل ما لم

---

[1] الطور: 37.

[2] المؤمنون: 8.

[3] القارعة: 5.

[4] الواقعة: 29.

[5] التوبة: 111.

يحفظه الأئمة الثقات منها: فمن الزيادة قوله تعالى: ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1] فقد قرئ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، وهما قراءتان متواتران، وقد وافق كل منهما رسم مصحف الإمام، فإن زيادتها وافقت رسم المصحف المكي، وحذفها وافق غيره. ومن النقصان قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ﴾[2] فقد قرئ بغير واو وفقا لرسم المصحف الشامي.

7. اختلاف اللهجات في الفتح والإمالة، والترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، وكسر حروف المضارعة، وقلب بعض الحروف، وإشباع ميم الذكور، وإشمام بعض الحركات[3].

وهذا الوجه الأخير هو أهم الأوجه السبعة، لأنه يبرز الحكمة الكبرى من نزول القرآن بسعة أحرف، ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التي تعددت قبائلها فاختلفت بذلك لهجاتها، وتباين أداءها لبعض الألفاظ، فكان لا بد أن تراعى لهجاتها وطريقة نطقها. أما لغاتها نفسها فلا موجب لمراعتها، لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره في لغة قريش التي تمثلت فيها لغات العرب قاطبة[4].

بعد أن عرفنا الأحرف السبعة والمراد منها، لابد من التنويه إلى الفرق بينها وبين القراءات السبع المتواترة المشهورة. والواضح أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ليست القراءات السبع المعروفة اليوم، لأن هؤلاء القرّاء السبعة لم يكونوا ولا وُجدوا[5]. وعبارة القراءات السبع بدأت تشتهر في الأمصار الإسلامية على رأس المائتين بسبب إقبال الناس على بعض الأئمة دون غيرهم لشهرتهم في العلم والورع ولتفرغهم للإقراء

---

[1] التوبة: 100.

[2] البقرة: 116.

[3] صبحي الصالح، مباحث، ص108–109.

[4] المرجع نفسه، ص109.

[5] ابن الجزري (توفي 833هـ)، النشر في القراءات العشر، جـ1 (بيروت–لبنان، دار الفكر، د.ت)، ص24.

والتعليم. واشتهرت تلك القراءات أيضا بسبب توفر التلاميذ والرواة الذين اعتنوا بها ونشروها دون غيرها[1].

إنه من المتفق عليه بين علماء الأمة أنه لا يجوز أن يُقرأ القرآن إلا بالقراءات المتواترة إلى رسول الله والتي تلقاها الناس خلفا عن سلف مشافهة من أفواه القراء. وهذه القراءات المتواترة محصورة اليوم بالقراءات العشر المشهورة بروايتها وطرقها واصطلاحاتها وضوابطها. وهذه القراءات متفرعة عن جميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم. وغير هذه القراءات العشر شاذة تحرم القراءة بها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] صبحي الصالح، مباحث، ص109.

المبحث الثاني

مصدرية القرآن

بعد أن فصّلنا تعريف القرآن، سوف نقوم في هذا المبحث بتقديم شخصية صاحبه وارتباطه الوثيق بالقرآن الذي حمله، ومكانة هذا الكتاب بين الكتب السماوية السابقة له. وقد جعل النقاد هذه الشخصية نقطة الانطلاق لنقدهم فيما إذا كان القرآن مصدره إلهي أم بشري.

المطلب الأول: نبوة محمد ﷺ

«كان العرب قبل بعثة النبي قوما من الدين في وثنية، ومن الأخلاق في همجية، ومن العادات في وحشية، ومن الاجتماع في انقسامات قبلية وتحزبات عصبية، ومن المدارك في جهالة، ومن الأفكار في ضلالة، ومن الوجود في غمامة، ومن العقائد في غواية، ومن النظامات في فاقة، ومن القوانين في حاجة؛ بينهم حروب متواصلة، وأحقاد متوارثة، ودماء مهدّرة، ومهج مهراقة، وعادات نشبت فيهم نشوبا، وغرست فيهم عيوبا، وجرت عليهم خطوبا، وطباع خلعتهم عن مقتضى الفطرة، ونبت بهم عن مطالب الخلقة، واصطصلاحات بعدت بهم عن قوانين الطبيعة، وألقت بهم إلى مطارح الرذيلة، وأُشرِبت نفوسهم سموم القطيعة؛ صناديد لا يفكرون في غير الغارات، ولا يفاخرون إلا بطعن الردينات وضرب المشرفيات؛ شعراء ولكن في الدعوة إلى القتال، وتيتيم الأطفال، وإفناء الأهل والمال؛ أقوياء ولكن في نسف المعالم، واكتساح المغانم؛ نجداء ولكن ضد بعضهم؛ شجعان ولكن على أنفسهم»[1].

تلك هي صورة العرب قبل بعثة النبي، ولكن مع هذا لم يكونوا أقلّ من سائر الأمم عيوبا، وأهون منهم في الرذائل نشوبا[2]. والخلاصة، كان حال الأمم في أفق العالم

---

[1] محمد فريد وجدي، الإسلام في عصر العلم، (بيروت–لبنان: دار لكتاب العربي، د.ت)، ص186.

[2] ينظر إلى المرجع نفسه، ص207 – 209، لمعرفة جو العالم في أوربا وآسيا وإفريقيا في قرن بعثة النبي.

كافة يستدعي الإصلاح والتعديل ويستلزم قارعة عظمى تقيمهم على نهج السبيل.

في عهد هذه الأحوال الحالكة، وفي هذا الجيل الشديد الوطأة، ولد محمد يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول من عام الفيل أي من تاريخ غزو الحجاز الفاشل الذي قام به «أبرهة» أمير اليمن في ظل حكم الدولة البيزنطية بقوة من جيشه اشترك فيه أكبر أفيال مملكة حبشة. وهذا التاريخ يوافق العام 53 قبل الهجرة أي 571 بعد الميلاد.

لقد ولد محمد يتيما، فقد مات أبوه عبد الله قبل مولده بسبعة شهور. وعهد به إلى مرضعة بدوية هي حليمة من قبيلة سعد حتى بلغ الرابعة، كما يقضي العرف عند أشراف مكة بإرسال أولادهم لينشأوا في جو الصحراء النقي. ثم تولت أمه تربيته بمعاونة مربية هي أم أيمن، لكنه لم يستمتع بحنان الأمومة طويلا إذ ماتت أمه وهو في السادسة من عمره واستقبله جده عبد المطلب. ولم يكد محمد يبلغ الثامنة حتى فقد جده، فتولى رعايته عمه أبو طالب رغم أنه لم يكن ميسور الحال لكثرة عياله. وفي عام 582 صحب محمد عمه في رحلته إلى سوريا طلبا للتجارة، وهو في الثانية عشر من عمره.

وترجع إلى هذه الرحلة قصة اتصال محمد بشخص الناسك بحيرى في بُصرى بالشام (سوريا) الذي أخبر أبا طالب وقال له: «ارجع إلى بلادك واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوا وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا، فأنه كائن له شأن عظيم» فخرج به عمه حتى أقدمه مكة.

ولا نعرف سوى تفاصيل قليلة عن حياته منذ ذلك التاريخ حتى تاريخ زواجه. وعموما فقد قضى شبابه في حالة قريبة من الفقر. والعمل الذي زاوله في تلك الحقبة كان في الغالب رعي الغنم الذي يقول الرسول عنه إنه كان عمل الأنبياء من قبله مثل موسى وداود وغيرهما. وكان يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه الرفيع وبُعدِه عن اللهو الرخيص وبعفّته المطلقة. وكان ينفرد عن شباب عصره بالحشمة والاتزان، وهو في شرخ الصبا وعنفوان العمر، والتأكيد على الخلوة الروحية بين جبال مكة وشعابها، وفي غار حراء

بخاصة. وكان يجذب اهتمام كل من تعامل معه فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما جعل تسميته «الأمين». وفي حياته العائلية قبل البعثة نجده يتزوج وهو فتى في الخامسة والعشرين من عمره من السيدة العربية خديجة بنت خويلد ، وكان زواجا ناجحا في حياة عائلية سعيدة.

وتطالعنا أحداث في تأريخ حياة محمد قبل البعثة، لها مداليل من وثاقة، ورجاحة من عقل، كمشاركته الفاعلة في حلف الفضول، وتميزه بالدفاع عن ذوي الحقوق المهضومة، وحلّه البارع في رفع الحجر الأسود ووضعه بموضعه من الكعبة، بما أطفأ به نائرة وأخمد فتنة.

هذه لمحات عن حياة الرسول قبل بعثته يذكرها كتب السيرة، يطيل بها البعض ويوجز البعض الآخر[1]. أما حياته بعد البعثة فتبدأ حينما أقبل محمد على حدث يعطي اتجاها جديدا لسلوكه، وهو في الحلقة الرابعة من عمره- هو سنّ قد اكتمل فيه جسمه وعقله وخلقه.

وأول أعراض بعثته النبوية كما جاء في رواية عائشة،أن أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وبعد ذلك حبّب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه وهو التعبد

---

[1] ينظر مثالا:

- عبد الملك بن هشام (توفي 218هـ)، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المجلد 1 (بيروت-لبنان: دار الفكر، 1401هـ/1981م)، ص171 - 216.

- محمد بن جرير الطبري، السيرة النبوية، تحقيق: جمال بدران (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط.1، 1414 هـ/1994م)، ص23 - 45.

- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، جـ.1 (بيروت-لبنان: دار الرائد العربي، ط.3، 1407هـ/1987م)، ص197 - 285.

- ابن الأثير (توفي 630هـ)، الكامل في التاريخ، جـ.1، ص269 وما بعدها، وجـ.2، ص2 - 30 (بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي، 1405هـ/1985م).

الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، قال: «ما أنا بقارئ». فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال: «اقرأ». قال: «ما أنا بقارئ». فأخذه فغطه الثانية ثم أرسله فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذه فغطه الثالثة ثم أرسله فقال: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ،- خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ،- ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ،- ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ،- عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1].

فرجع بها رسول الله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع». فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيت على نفسي». فقالت خديجة: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق».

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: «يا بن عم اسمع من بن أخيك». فقال له ورقة: «يا بن أخي ماذا ترى». فأخبره رسول الله خبر ما رأى فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذع ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك». فقال رسول الله: «أو مُخرِجي هم». قال: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا». ثم لم ينشب ورقة أن توفي فترة الوحي[2].

المطلب الثاني: محمدﷺ النبي والقرآن

تلك هي صورة موجزة لحياة محمد منذ ولادته إلى أول نزول الوحي عليه في 17 رمضان (فبراير من التقويم الميلادي) عام 612م. ومنذ ذلك بدأ محمد نشاطاته النبوية

---

[1] العلق: 1 – 5.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، جـ.1، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، ص3 – 4.

ونهض في دعوته، فتجد الدعوة مكذبين ومصدقين، وتقف قريش بكبريائها وجبروتها في صدر الدعوة، ويلقى الأذى والعنت من قومه وعشيرته الأقربين، وفي حمأة الأحداث يموت كافله وزوجه في عام واحد، فيكون عليه عام الأحزان، لا اليد التي قدمت المال للرسالة، ولا الساعد الذي آوى وحامى. ثم أوحي إليه بالهجرة، فتمثل حدثا جديدا عالميا فيما بعد.

ونعرف من حياة الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها أنه لم يتلقّ علما من إنسان ولم يدّع أي إنسان أنه هو الذي يعلّم الرسول. من أين جاء محمد بن عبد الله بالقرآن، وشهادة التاريخ تخبرنا أنه رجل عربي أمي؟

لقد صرّح القرآن أنه ليس من عمل محمد، بل ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،- ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ،- مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1].

ذلك هو جبريل، تلقّاه من لدن حكيم عليم، ثم نزّله بلسان عربي مبين على قلب محمد الأمين، فتلقّنه محمد منه نصا بعد نص، ولم يكن فيه من عمل بعد ذلك إلا (1) الوعي والحفظ، ثم (2) الحكاية والتبليغ، ثم (3) البيان والتفسير، و(4) التطبيق والتنفيذ[2]. أما ابتكار معانيه وصياغة مبانيه فما هو منها بسبيل، وليس له من أمرهما شيء، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ،- إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[3].

هكذا أقرّ القرآن حيث يقول: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4]، ويقول: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ

---

[1] التكوير: 19 – 21.

[2] دراز، النبأ العظيم، ص13.

[3] النجم: 4.

[4] الأعراف: 203.

إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾[1].

وأمثال هذه النصوص كثيرة في شأن إيحاء المعاني، ثم يقول في شأن الإيحاء اللفظي: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[2] ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[3]، - ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ، - إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ، - فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ، - ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾[4]، - ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[5]، - ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴾[6]، - ﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾[7].

القرآن إذن صريح في أنه لا صنعة فيه لمحمد، ولا لأحد من الخلق، وإنما هو منزّل من عند الله بلفظه ومعناه. وصورة محمد في القرآن صورة العبد المطيع، الذي يخاف عذاب ربه إن عصاه، فيلتزم حدوده ويرجو رحمته، ويعترف بعجزه المطلق عن تبديل حرف من كتاب الله.

المطلب الثالث: القرآن وتسلسل الوحي الإلهي

علّم الإسلام أنّ آيات الله تتجلى في الكتاب والكون وتاريخ الإنسان. يعرف الإنسان من نظم العالم والكون آيات لوجود الخالق المنظم له[8]، ومن تاريخ صعود الشعب

---

[1] يونس: 15.

[2] يوسف: 2.

[3] الأعلى: 6.

[4] القيامة: 16 – 19.

[5] العلق: 1.

[6] الكهف: 27.

[7] المزمل: 4.

[8] – آل عمران: 27 ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾.

والأفراد الى السلطات ونزوهم منها ومن نجاحهم وفشلهم عِبَر لوجود الإله وإرادته من خلقه[1]. هذا بالإضافة إلى أن الله برحمته الواسعة لخلقه أنزل مسلسل الوحي إلى الأنبياء ليرشدهم إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة[2].

إذا كان الكتاب آية من آيات الله، وقد أنزله على الأجيال الماضية، فماذا يقال في القرآن ومحمد ﷺ؟ ولماذا أُنزل هذا القرآن وما العلاقة بينه وبين الكتب السابقة له؟

لم يكن النبي ﷺ بدعا من الرسل، ولم يختص بالوحي دونهم، بل العكس هو الصحيح، فقد شاركهم هذه الظاهرة، وقد أوحي إليه كما أوحي إليهم من قبل[3]. .لقد أخبر القرآن أن الله أنزل على موسى التوراة[4] كما أنزل على عيسى الإنجيل[5] ، وحضّ المسلمين على الإيمان بهما، وأن إيمان مسلم لا يصح إلا بهما وغيرهما من الرسل وما أنزل عليهم[6]. ولكن القرآن يبيّن أنهما قد حُرّفا وبُدّلا، وأن النصوص الحالية للتوراة والأناجيل المدونة بين دفتي الكتاب بعهديه القديم والجديد، قد اختلط فيها كلام الله

- الروم: 8 ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾.

1) – آل عمران: 26 ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

2) النحل: 36 ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾.

3) النساء: 163 – 164 ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا،– وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾.

4) البقرة: 87 ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ﴾.

5) المائدة :46 ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾.

6) آل عمران: 84 ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

وعمل أيادي البشر[1]. لقد صرح القرآن في حال كتاب بني إسرائيل من اليهود والنصارى، أنهم لا يحفظون كتابهم الموحى من عند الله بعد وفاة هذين الرسولين، بل هم حرّفوه وبدّلوه حسب هواهم[2]، كما حرفوا دينهم التوحيد إلى تألية وتقديس شخص معيّن[3]. وصرح أيضا أن الله بعث عيسى نبيا له[4]، ولكنهم سرعان ما حرفوا تعاليمه بعد وفاته إلى أن جعلوه إلها[5].

بعد هذه الانحرافات التي شهدتها التوراة والإنجيل أنزل الله القرآن كتابه الختامي إلى خاتم أنبياءه[6]. لقد أكد محمدﷺ أنه لا يأتي بالرسالة الجديدة من الإله الجديد ولكنه دعا الناس إلى عبادة الإله الواحد وإلى الشريعة التي جاء بها أنبياء الله من قبل، وأن عبادة الإله الواحد ليس امتدادا من عبادة الآلهة المتعددة التي مارسها العرب آنذاك، ولكنها عودة إلى دين التوحيد الحنيف الذي جاء به إبراهيم.

النظرة القرآنية تقول إن دين الله واحد، وأعطى القرآن هذا الدين اسم الإسلام[7]. والتعدد الملحوظ في التاريخ الديني الواقعي للبشرية ليس مصدره إلهيا، ولكنه يعود إلى

---

[1] البقرة: 79 ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾.

[2] البقرة: 59 ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾.

[3] التوبة: 30 ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

[4] آل عمران: 49 ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ... ﴾.

[5] التوبة: 31 ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

[6] الأحزاب: 40 ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

[7] آل عمران: 19 ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ .

وضع البشر. وإن الأصل في التدين هو التوحيد[1]، كما إن البشرية عرفت الإله الواحد الخالق منذ بدايتها. ولذلك فآدم– أول البشرية، هو أول الموحدين وأول المسلمين.

وقد تكررت الآيات القرآنية التي وصفت الأنبياء والمرسلين وأتباعهم بصفة الإسلام[2]. فهناك وحدة دينية منذ بدايتها وحتى نهايتها، فدعوات الأنبياء والرسل منذ بداية الخليقة واحدة وجوهرها واحد، هو إعلان خضوع الإنسان واستسلامه للإله الواحد. أما وجود الوثنية والتعدد والشرك فكل هذا يمثل خروجا على التوحيد. والظهور المتكرر للأنبياء والرسل في التاريخ الديني للبشرية هدفه إعادة البشرية المنحرفة على التوحيد إلى خطه الأول، وتصحيح الأوضاع الدينية للبشرية، والقضاء على الوثنية والتعدد والشرك، وتجديد إعلان استسلام وخضوع الإنسان لإرادة الله الخالق.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإسلام كفكرة دينية ومعتقدة يبدأ مع بداية البشرية، فالإسلام إذن ليس دينا جديدا بكتاب جديد، بل هو دين إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء السابقين. وظهور الإسلام كمؤسسة دينية جاء بها محمدﷺ في التاريخ هو تتويج لهذا التاريخ السابق للإسلام، وتصحيح نهائي للدين الإلهي الذي حرفه الناس. كما هو إعلان لكمال هذا الدين[3]. فبذلك أصبح الإسلام خاتم الرسالات الإلهية فلا رسالة بعده، ومحمدﷺ خاتم النبيين فلا نبوة بعده.

---

[1] محمد خليفة حسن، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية–جامعة القاهرة، 2003)، ص17 - 18. وكذلك: أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلف العصور، جـ.1 (مكة المكرمة: دون الناشر، ط.1، 1401هـ/1981)، ص11.

[2] الحج: 78 ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ... ﴾.

آل عمران: 67 ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾.

البقرة: 133 ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

المائدة: 111 ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾.

[3] المائدة: 3 ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾.

لقد أخبر القرآن أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل، قد جاء مصدقا ومؤكدا لما قبله؛ فالإنجيل مصدق ومؤيد للتوراة[1]، والقرآن مصدق ومؤيد للتوراة والإنجيل ولكل ما بين يديه من الكتب. هذه هي علاقة كتاب الله بما سبقه من كتبه وهي في صورتها الأولى، ولم يتغير فيها شيء بفعل الزمان ولا بيد الإنسان. وهكذا نرى كيف كان القرآن يعلن عن نفسه دائما أنه جاء مُصَدِّقاً لِّمَا سبقه مِنَ الْكتبِ[2]. أما بعد أن طال الأمد على تلك الكتب فقد أضاف القرآن مهمة أخرى، إذ أعلن أنه جاء أيضا مهيمنا عليها. فالقرآن لا ينقض لما عند اليهود والنصرى وإنما يصدق له ويهيمن عليه[3].

التصديق القرآني للكتب السابقة له، هو اعتراف بها وشهادة بأنها جاءت من عند الله سبحانه وتعالى، وبأن دعوات الأنبياء كلها دعوات إسلامية. أما الهيمنة فهي الرقابة والحراسة والائتمان. والقرآن بكونه آخر الكتاب السماوي وبكونه رقيبا حارسا أمينا على السابقات له، فهو لا يكتفي بتأييد ما خلده التاريخ، بل فوق ذلك يحميها من الدخيل الذي يضاف إليها بغير حق، ويحدد الحق الإلهي فيها من الباطل البشري. وهذا هو المعيار النقدي للتعرف على بقايا الوحي في الكتب السابقة وتحديد ما ليس وحيا منها[4].

---

[1] آل عمران: 50 ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾.

[2] يونس: 37 ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

[3] المائدة: 48 ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾.

[4] الطبري، جامع البيان، المجلد 4، جـ.6، ص173. وكذلك:

- وأبو الفداء إسماعيل بن كثير (701 – 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، جـ.2 (بيروت: دار الأندلس، د.ت)، ص586.
- محمد عبد الله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (الكويت: دار القلم، 1990)، ص 188 – 189،
- محمد خليفة، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، ص35 – 37.

المبحث الثالث

تدوين القرآن

تبيّن من المبحث السابق أن القرآن وحي من عند الله لفظا ومعنى، وأن ليس على صاحبهﷺ إلا البلاغ. هل القرآن الذي بين أيدينا هو ذلك القرآن الذي جاء به محمد بواسطة جبريل؟ هذا هو ما نريد امتحانه من خلال مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: كتابة القرآن وحفظه في زمن الرسولﷺ

من الناحية التاريخية بدأ نزول القرآن بمكة على وجه التقريب في سنة 611م، واستمر النزول فيها إلى أن هاجر الرسول إلى المدينة سنة 622م. فنزل القرآن مكيا في ما يقرب من 13 سنة و مدنيا في ما يقرب من 10 سنوات. وهكذا استغرق نزول الآيات القرآنية 23 سنة تقريبا. وقد اختلفت الروايات في آخر آية نزلت وتاريخ نزولها. وذلك بسبب الاختلاف في آخر ما سمعه صحابي معين من رسول الله حيث إنه ليس كل صحابي يلازم مرافقة الرسول في جميع أوقاته لسبب من الأسباب، وقد يسمع أحدهم ما لا يسمعه الآخر ويروي ما لا يروي الآخر. ومن ثم كثر الاختلاف بين السلف والعلماء في آخر ما نزل وتعدّدت الأقوال وتشبعت الآراء[1].

وقد مرّ القرآن منذ نزوله بطريقتين من طرق ثبوت الخبر وتأكيده وصدقه، وهما الكتابة في السطور والحفظ في الصدور. كان الرسول يتلو كل جزء ينزل عليه ويعلمه للسامعين ليصل عن طريقهم إلى من لا يسمعه من فم الرسول مباشرة. وكان الناس جميعا ينتظرون الوحي بشغف، ويتمنون أن يتلقوه فور نزوله. كما أن أعداء الرسول أنفسهم كانوا يحرصون على سماعه إما للبحث عن نقط ضعف فيه تعينهم على مغالبته أو

[1] لمعرفة تفصيل اختلاف الآراء في هذا الموضوع، ينظر: محمد عبد العظيم الرزقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، جـ.1 (القاهرة: دار الفكر العربي، 1980)، ص89 – 93.

مهاجمته، وإما لإشباع حاجتهم الملحة في التذوق الأدبي[1]. ويمكننا أن نتصور إذن مدى الاهتمام الذي كان يثير القرآن في نفوس المؤمنين، فقد كان لهم غذاء الروح وقاعدة السلوك ونصوص الصلاة وأداة الدعوة إلى الإسلام.

إن النصوص الواردة في كتب السير والسنة تدل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في حفظ القرآن، وكانوا يتدارسونه ويستظهرونه ليتمكنوا من قراءته في الصلوات المكتوبة ليلا ونهارا، سرا وجهرا، وفي النوافل التي يتطوعون بها. وكانوا -فوق هذا- يحفّظون أزواجهم وأولادهم، ويقرؤون به في صلواتهم حتى في جوف الليل. روي عن أبي موسى الأشعري أنه قال: قال رسول الله: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»[2]. وروي عنه أيضا أن رسول الله قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أعطيتَ مزمارا من مزامير آل داوود»[3].

فما من شك في أن القرآن حفظ في عهد الرسول. وكان الرسول أول الحفاظ، ومن بعده صحابته الذين تأسّوا به شغوفون بالرسالة مصدرا ونظاما وحياتا. وهم عايشوا الوحي وعرفوا أسباب النزول وأشربت قلوبهم بالقرآن الكريم. فكانوا خير الحفاظ وأشد المتمسكين بالنص. لذا، كانت المراجعة بين هؤلاء الحفاظ وبين رسول الله فيما حفظوه من القرآن مراجعة مستمرة.

هذا بالإضافة إلى أن المجتمع العربي آنذاك يتمتع بذاكرة قوية فيما يتعلق بالأخبار والأشعار والأنساب التي وعتها صدورهم، وتناقلوها شفاها بحرص وأمانة وإتقان. فوجود الصحابة الذين كانوا يحفظون القرآن، ليس بأمر غريب عندهم. فنرى ابن مسعود مثلا

---

[1] محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن عرض تاريخي و تحليل مقارن، ترجمة محمد عبد العظيم علي (الكويت: دار القلم، 1986)، ص34.

[2] مسلم، الجامع الصحيح، جـ.1، باب من فضائل الأشعريين، ص1944.

[3] مسلم، الجامع الصحيح، جـ.1، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ،ص546

يفخر بأنه حفظ أكثر من سبعين سورة من فم الرسول[1].

إن النص المنزل لم يقتصر على كونه آيات تتلى وتحفظ في الصدور، وإنما كان أيضا مكتوبا في السطور. فهاتان الصورتان تتضافران وتصحح كل منهما الأخرى. كان الرسول اتخذ كتّابا للوحي، وكان كلما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبة الوحي ليكتبوه على أي شيء كان في متناول أيديهم، ويرشدهم إلى موضعها من السورة، فدونوه على قطع من جريد النخل العريض ورقائق الحجارة والعظام والجلد وغيرها من وسائل الكتابة في وقتها. وتذكر الروايات أن عدد كتاب الوحي بلغ ثلاثة وأربعين كاتبا[2]، ومن الصحابة من كتب لنفسه ما تيسر له أو يسرته أحواله. وكان إسلام عمر راجعا إلى قراءته لآيات أول سورة «طه» التي وجدها مكتوبة على ورقة كانت تحملها أخته[3].

وقد أخرج الحاكم (321 – 405هـ) في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع»[4]. ومعنى تأليف القرآن تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيه وفق إشارة النبي وتوقيفه، وكلمة الرقاع في الحديث (وهي جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد) تشير إلى نوع أدوات الكتابة المتيسرة لكتابة الوحي على عهد رسول الله [5].

---

[1] مسلم، الجامع الصحيح، جـ.1، باب من فضائل عبد الله اب مسعود وأمه، ص1912. وكذلك: البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب القرّاء من أصحاب النبي، ص102.

[2] أبو عبد الله الزنجاني، تاريخ القرآن (طهران: منظمة الإعلام الإسلامي–قسم العلاقات الدولية، 1404هـ)، ص48. والزنجاني عضو المجمع العلمي العربي في دمشق، وهو من أكبر علماء الشيعة ومجتهديهم.

[3] الحافظ الذهبي(توفي 748هـ).، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ.1 (بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي، ط.2، 1409هـ/1989م)، ص174 – 175.

[4] أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على شرط الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، جـ.2، (بيروت: دار الكتب العربي، د.ت)، ص239.

[5] السيوطي، الإتقان، جـ.1، ص99.

تلك المقولة تبين مدى اهتمام الرسول والصحابة بحفظ القرآن وكتابته، مما يؤدي إلى توثيق النص والحفاظ عليه. فهم يعرضون ما لديهم من القرآن حفظا وكتابة، والرسول بدوره كان يؤكد أنه في شهر رمضان من كل عام يقوم بمراجعة عامة وتلاوة الآيات في حضور جبريل، وأنه في العام الأخير راجع عليه جبريل القرآن مرتين مما جعل الرسول يتنبأ بقرب أجله. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعتنوا عناية فائقة في إثبات صحة النص القرآني ومطابقته مطابقة حرفية لكل جزء فيه طبقا لما نزل، ودوّن بإملاء الرسول ثم تُلي بعد ذلك أمامه وحمل تصديقه النهائي قبل وفاته.

المطلب الثاني: جمع القرآن في عصر أبي بكر

توفي الرسول وترك القرآن مكتوبا في الألواح ومحفوظا في صدور الناس. وما من شك في أن وفاته أحدثت ضجة كبيرة في المجتمع الإسلامي آنذاك. ففي حياة الرسول عايش الناس الوحي وحضروا نزول الآيات، وكان القرآن شغلهم، يقبلون عليه ويحفظونه ويعملون به.

وعند وفاته أضحى وضع المسلمين قلقا مضطربا لإحساسهم بالفراغ الرهيب عقب وقوع المصيبة وانشغالهم برأب الصدع وتولية خليفة لرسول الله يقوم على أمر الناس. وما إن أفاقوا على اختيار أبي بكر حتى فوجئت السلطة الجديدة بأنباء الانشقاقات في أنحاء الجزيرة، وارتداد بعض الناس عن الدين إلى شركهم. فقام أبو بكر وجهز جيشا لمحاربة المرتدين والحفاظ على حظيرة الإسلام، واستشهد في غزوة أهل اليمامة ضد مسيلمة الكذاب عام 12 هـ عدد كبير من الصحابة، ومن بينهم حفّاظ القرآن الكريم. وكان قد قتل منهم عدد كبير أيضا ببئر معونة قرب المدينة، وذلك في عهد النبي.

وقد أدرك عمر بن الخطاب خطورة هذا الموقف حين استمر القتال يوم اليمامة بالقرّاء، وقد تتعدد مواطن القتال يهلك فيها الكثير من حفظة القرآن، وخشي من فقدهم فيذهب كثير من القرآن، لأن الاعتماد على الحفظة كان عاملا مهما في الحفاظ على القرآن إلى جانب الصحف المكتوبة. فأشار عمر بن الخطاب على أبي بكر بأن يجمع

القرآن مكتوبا، ويراجع على حفظته. فتردّد أبو بكر أن يقوم بعمل لم يقم به رسول الله، ومعروف أن أبا بكر يتأسى برسول الله ويلتزم بما فعل وبما قال.

وبعد مشاورات بينهما حتى شرح الله قلب أبي بكر وقبل الفكرة التي تقدم بها عمر وهي جمع القرآن وكتابته، فطلب من زيد بن ثابت القيام بهذه المهمة. قال أبو بكر لعمر وزيد قبل بداية العمل: «اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على كتاب الله فاكتباه»[1]. ثم أعلن عمر في المدينة فقال: «من كان تلقّى من رسول الله شيئا من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شهيدان»[2].

وقال أبو بكر لزيد حين كلفه بهذا العمل: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فاجمعه»[3]. ويظهر من قول أبي بكر في اختياره زيدا بهذه المهمة إنما لمكانته في القراءة والكتابة والفهم، وهو من حفظة القرآن ومن كتّاب الوحي وقد شهد العرضة الأخيرة للقرآن. هذا بالإضافة إلى أنه شاب، فهو لشبابه أقل تعصبا لرأيه واعتزازا بعلمه، وذلك يدعوه إلى التدقيق في العمل والاستماع لكبار الصحابة[4].

بدأ زيد بن ثابت في مهمة كلفه بها أبو بكر، فتتبع القرآن من صدور الناس ومراجعة ذلك بما دوّن في العسب واللخاف. و كان يراعي غاية التثبت، فلا يكتفي بالحفظ دون الكتابة ولا بالكتابة دون الحفظ، وإنما يتأكد من مطابقة المحفوظ للمكتوب ولا يقبل ذلك إلا بشاهدي عدل ليقرّا بأن هذه الكتابة هي التي كانت بين يدي رسول الله. وهذا التشدد في اشتراط شاهدين أدّى إلى استبعاد آية جاء بها عمر عن رجم الزانية

---

[1] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، (بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، 1405هـ/1985م)، ص12.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] قصة زيد بن ثابت في جمع القرآن واردة في: البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6،باب جمع القرآن، ص98.

[4] عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن (القاهرة: نهضة مصر. 2005)، ص144. وكذلك: الزنجاني، تاريخ القرآن، ص70 – 71.

لأنه كان الشاهد الوحيد[1].

ومن المؤكد أن القرآن في عهد النبي حملته صدور الناس ودوّن في عدد متنوع من وسائل الكتابة، إلا أنه كان مفرقا في الصحف التي تنوعت مادتها ما بين الرقاع والأكتاف والعسب، ولم تدعُ الحاجة إلى جمعه في مصحف واحد مرتب الآيات والسور. وذلك لأن النبي كان يترقب نزول الوحي من حين إلى آخر، وكتابة القرآن لم يكن ترتيبها بترتيب النزول، بل تكتب الآية بعد نزولها حيث يشير الرسول إلى موضع كتابتها بين آية كذا وآية كذا وفي سورة كذا. ولو جمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد لأدّي ذلك إلى التغيير كلما نزل شيء من الوحي[2]. فالقرآن لم يأخذ شكلها النهائي إلا قرب نهاية حياة الرسول.

ولما انقضى نزول الوحي بوفاة الرسول، ودعت الحاجة إلى جمعه، قام بهذا العمل أبو بكر -خليفته الأول. غير أن ذلك لا يمنع من أن تكون هناك كتابات أخرى احتفظ بها الصحابة رغبة في الاحتفاظ بالنص القرآني، فوُجدت مصاحف فردية عند بعض الصحابة كمصحف علي بن أبي طالب ومصحف أبي بن كعب ومصحف عبد الله بن مسعود. غير أن هذه المصاحف لم تنل حظها من العناية الكاملة كما كان في مصحف أبي بكر.

وفضلا عن كماله المطلق، يتميز مصحف أبي بكر عن النسخ الأخرى الكاملة أو الناقصة التي كانت عند الأفراد بمطابقته المطلقة للنص المنزل إذ استبعد منه كل ما لم يتضمنه القرآن طبقا للعرضة الأخيرة، بخلاف المصاحف التي عند بعض الصحابة، فمنهم من كان يكتب في مصحفه ما سمع تفسيره أو إيضاحه من النبي. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3]، فقد كتب ابن مسعود: «لَيْسَ

---

[1] السيوطي، الإتقان، جـ.1، ص 167.

[2] الزرقاني، مناهل العرفان، ص241 – 241. وكذلك: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط.2، 1420هـ/1999م)، ص124.

[3] البقرة: 198.

عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ – فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ»[1]. ولا ريب أن تلك الزيادة الأخيرة للتفسير والإيضاح، لأنها مخالفة لسواد المصاحف التي أجمعت عليها الأمة[2]

فبينما المصاحف الأخرى كانت في بعض الأحيان تضاف فيها التفسيرات أو أدعية الصلاة الخارجة عن النص، فإن مصحف أبي بكر يخلو حتى من أسماء السور.

وهكذا، فقد كان أول من جمع القرآن بين دفتي المصحف هو أبو بكر باقتراح عمر، وكتبه زيد بن ثابت، وكان هذا الجمع بمعاونة أكابر الصحابة وإجماع الأمة عليه دون نكير. وبعد أن تمّ جمع القرآن في مصحف بكل احتياطات، احتفظ به أبو بكر طوال خلافته وعهد به قبل موته إلى عمر بن الخطاب المرشح للخلافة من بعده. ثم قام عمر بتسليمه إلى بنته حفصة أم المؤمنين توطئة فى آخر لحظة من حياته لأن الخليفة الثالث لم يكن قد بويع في ذلك الوقت.

وقد تساءل بعض الناس حول انتقال المصحف إلى حفصة: ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده»؟ والجواب عن هذا التساؤل : «بل حفصة أولى بذلك وأجدر. لقد أوصى عمر بأن تكون الصحف مودعة لديها، وهي زوجة رسول الله أم المؤمنين، فضلا على حفظها القرآن كله في صدرها وتمكنها من القراءة والكتابة، وكان عمر قد جعل أمر الخلافة شورى من بعده، فكيف يسلم إلى عثمان هاتيك الصحف قبل أن يفكر أحد في اختياره للخلافة»[3].

والملاحظ أن انتقال المصحف من أبي بكر إلى عمر ثم إلى حفصة تدلنا على أن هذه الصحف منذ أن كتبت، كانت معدودة من الملكية العامة، إذ لو كانت ملفا خاصا لأبي بكر لما ورثها غير أبنائه من بعده، وأغلب الظن أنها لم توضع لدى حفصة إلا لتكون رهن تصرف الخليفة الثالث حين يطلبها. وفي هذا رد على الذين ادعوا أن الصحف

---

[1] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص65.

[2] السيوطي، الإتقان، جـ1، ص134.

[3] صبحي الصالح، مباحث، ص77.

الصحف المجموعة في عهد أبي بكر إنما هي صحف خاصة، وليس الأمر كذلك.

ويتبين مما سبق ذكره أن أبا بكر كان يتردد في قبول اقتراح عمر لجمع القرآن، وذلك لأنه مسألة لا نص يحلها ولا سابقة تعين على معالجتها. هل لأمير المؤمنين أن يفعل أمرا لم يفعله الرسول من قبل؟ فماذا يمكن أن يكون التصرف حيال هذه المستجدات في الحياة الإسلامية، وكان المسلمون مرتبطين بالنص ارتباطا وثيقا، لا يأتون إلا بما أتى به رسول الله؟

ومن هنا كان قرار أبي بكر في هذه المسألة هو أخطر قرار اتخذه في حياته، وأعظم الخطوات التي تمت في تاريخ هذه الأمة، لأنه حلّ مشكلة أصولية ترتب على حلها سلامة النص القرآني من التحريف، وهو الأساس الذي انطلقت منه حركة الحضارة الإسلامية في التاريخ، مطمئنة إلى دستورها المنزل المحفوظ، وهو أيضا القاعدة التي اتخذت مقياسا لكل إصلاح لرسم المصحف أو كتابته فيما بعد. لذلك قال عنه علي: رحمة الله على أبي بكر، كان أعظم الناس أجرا في المصاحف، وهو أول من جمع بين اللوحين[1].

المطلب الثالث: توحيد المصحف في عصر عثمان

استقبل عثمان بن عفان لخلافته سنة 24 هـ، وفي عهده اتسعت الفتوحات وتعددت أمصار الدولة الإسلامية، وانتشرت تعاليم الإسلام في كل مكان من خلال القرآن الكريم، وانتشر القراء وهم حفظة كتاب الله وتفرقوا في الأمصار المختلفة، وأخذ عنهم أهل البلدان التي نزلوا فيها وأصبح أهل كل مصر يقرؤون بقراءة من وفد إليهم حينما أقرأهم بلسانهم. ووجوه القراءة التي كان يؤدي بها الصحابة مختلفة باختلاف الأحرف التي نزل عليها القرآن، والرسول بدوره أقرّ قراءاتهم على اختلاف حروفها. وبعد عهد النبي أخذ يزيد هذا الاختلاف وزاد بتأثير عوامل تحول اللغة بمجاورة أمم غير العربية.

---

[1] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص11.

وفي عهد عثمان اتسع الخلاف وانتشر مع اتساع الفتوحات، إذ انتشر العمران وتفرق المسلمون في البلدان وظهر جيل جديد. وهذا يحتاج إلى التصدي للقرآن قراءة ودراسة. وما من شك في أن العهد قد طال بين هؤلاء وبين الرسول، وكان أهل كل بلد يقرؤون بقراءة من ذهب إليهم واشتهر بينهم من الصحابة؛ فأضحى الاختلاف ظاهرا في حروف الأداء ووجوه القراءة، مما عمل على فتح باب للنزاع حول قراءة القرآن، ولم يكن الرسول موجودا بينهم، وهو صاحب الرسالة، والموحى إليه.

وحينما اجتمع أهل الأمصار المختلفة في مكان ما إما لغزو أو تجارة، كانت تظهر هذه الاختلافات في أوجه القراءة، وتثير عجب أو دهشة البعض، وكان كل فريق يحسب قراءته أفصح وأخير من قراءة الآخر. ولا مناص أيضا من أن يشك البعض في هذا خاصة تلك الفئة التي لم تدرك رسول الله، فيدور الكلام وتكثر المناقشات والتساؤلات حول فصيح القراءات أو أفصحها، وأدى ذلك إلى تخطئة بل تكفير بعضهم بعضا.

وقد روى البخاري في صحيحه خبرا عن أنس بن مالك: «قدم حذيفة بن اليمان على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى»[1].

وهناك روايات أخرى تدل على أن الخلاف في القرآن كان فاشيا في البلاد الإسلامية[2]. وهذه الخلافات تقطع بأن أبا بكر و عمر لم يفرضا مصحف زيد بن ثابت على الناس. بل ظل من لديه ورقة مكتوبة من عهد النبي متمسكا بها. وكل من لديه صيغة من صيغ سواء كانت من القرآن الباقي أو من القرآن المنسوخ، كان يتلوها ويعتقد أنها هي القرآن.

وقد فزع عثمان بن عفان لما يحدث بين الناس من اختلاف في أوجه قراءة القرآن

---

[1] البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب جمع القرآن، ص99.

[2] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص28 – 29.

وما قد يشوب ذلك من اللحن وما يعتري ذلك من اتساع في الاختلاف. فالأمر جد خطير خاصة وأن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم تكن معروفة لأهل الأمصار آنذاك، ولم يكن من السهل عليهم أن يعرفوها حتى يتحاكموا إليها فيما يختلفون، إذ كان كل صحابي في إقليم يقرئ أهله بما يعرف فقط من الحروف التي نزل عليها القرآن ولم يكن بين أيديهم مصحف جامع يرجعون إليه فيما شجر بينهم. والاختلاف في كتاب الله مدرجة إلى اختلاف ما فيه، ومتى أهملوا بعض معانيه لم يكن بد أن يتصرفوا ببعض ألفاظه، وإنما اجتراء واحد فيوشك أن يكون ذلك مساغ للتحريف والتبديل[1].

فأدرك عثمان أن هذه الفتنة إن لم تعالج بالحكمة والحزم ستجري إلى أسوء العواقب، ففكر في علاجها قبل أن يستفحل خطرها ويتفاقم شرها. فجمع أعلام الصحابة ليبحثوا عن حلّ لهذه الفتنة، وقال: «اجتمعوا يا أصحاب محمد واكتبوا للناس إماما»[2]. فأجمع الصحابة على أن تنسخ الصحف الأولى التي كانت عند أبي بكر، وأن يأخذ المسلمون بها ويجمعوا عليها. فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر ليسأل منها الصحف التي بحوزتها.

ولما أرسلت حفصة المصحف إلى عثمان بن عفان، استدعى عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن زبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث، وطلب منهم أن ينسخوا الصحف في مصحف موحّد. كما أشار عثمان أن يكتب القرآن بلغة قريش عند حدوث الخلاف بينهم، لأنه نزل بلسانهم. ولم يحدثنا التاريخ أنهم اختلفوا في شيء إلا في كلمة «التابوت» من قوله تعالى:﴿ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[3]. فقال زيد: تكتب بالمربوطة «الساوه»، وقال القرشيون الثلاثة: تكتب بالمفتوحة «الساوت». فرفعوا

---

[1] الرافعي، إعجاز القرآن، ص34.

[2] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص28 – 29.

[3] البقرة: 248.

اللأمر إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوها بالتاء المفتوحة وفقا للغة قريش[1].

والملاحظ أن اللجنة لاتقوم بإعادة جمع القرآن، مع أن أعضاءها كانوا جماعا لكتاب الله في صدورهم، وإنما أمرهم عثمان أن ينسخوا من صحف حفصة، لتكون مصاحفه مستندة إلى أصل أبي بكر المستند بدوره إلى أصل النبي المكتوب بين يديه بأمره وتوقيف منه، فسدت بذلك كل ذريعة للتقول والتشكيك[2].

فلما فرغت اللجنة من كتابة المصحف في سنة 25 هـ، ردّت الصحف إلى حفصة بنت عمر. ثم بعث عثمان في كل أفق بمصحف من تلك المصاحف، وأمر أن يحرق ما عدا ذلك من صحيفة أو مصحف ينتشر في الأمصار. واستجاب الصحابة أمر أمير المؤمنين، فأصبحت قراءة كل قطر تابعة لرسم المصحف المبعوث أليهم[3].

وقد اختلف في عدة المصاحف التي نسخها عثمان. وقد قيل إنه جعله أربعة مصاحف وبعث إلى كل ناحية واحدا: الكوفة والبصرة والشام وترك واحدا عنده. وقد قيل إنه جعله سبعة وأرسل الثلاثة الأخرى إلى مكة واليمن والبحرين[4]، ورجّح السيوطي أنها خمسة[5]. ويقال لهذه المصاحف "المصاحف العثمانية" نسبة إلى أمره وزمانه، وليست مكتوبة بخط عثمان[6].

ولم يكتف عثمان بتوجيه هذه المصاحف إلى هذه المدن، وإنما اختار حفّاظا يثق بهم وأنفذهم إلى الأقطار الإسلامية التي أرسل إليها المصاحف ليقرؤوا أهل البلد المرسل إليهم، فأرسل مع كل مصحف قارئا متقنا يقوم بمهمة التعليم والإقراء؛ أمر زيد بن

---

[1] قصة تأليف القرآن في المصاحف في عهد عثمان موجودة في: البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب جمع القرآن، ص99.

[2] صبحي الصالح، مباحث، ص83.

[3] الرزقاني، مناهل العرفان، جـ.1، ص254.

[4] الزركشي، البرهان، جـ.1، ص240. ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص43.

[5] السيوطي ، الإتقان، جـ.1، ص171.

[6] ابن كثير، البداية والنهاية ، جـ.7، (بيروت: مكتبة المعارف، ط.6، 1985)، ص217.

ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكي، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي، وعامر بن قيس مع المصحف البصري[1]، وهذه الرواية ترجح أن النسخ التي بعثها عثمان إلى الأمصار كانت خمس[2].

وأيا ما تكن عدة المصاحف على وجه اليقين، فإنها جميعا تماثلت في اشتمالها على القرآن كله: مئة وأربع عشرة سورة خالية من النقط والشكل ومن أسماء السور والفواصل، ومما لا يثبت تواتر قرآنيته من الشروح والتفاسير اقتداء بأبي بكر، فإن صحفه كانت مجردة من كل ذلك. وإنما كتبت المصاحف بهذا الشكل لكي تجمع القراءات التي نزل بها القرآن.

وهكذا، فقد أدرك عثمان الموقف قبل أن ينفجر، حيث قام بحسم مادة الاختلاف، لأنه أمر يمتدّ مع الزمن. وهو إن أمن في عصره لم يدر ما يكون بعد عصره، وقد أدرك أن العرب لايستمرّون عربا على الاختلاف والفتوح، وأن الألسنة تنتقل واللغة تختلف، والاختلاف فيها باب إلى الزيادة والابتداع في النص. فما فعل عثمان شيئا أكثر من أنه حصن القرآن وأحكم الأسوار حوله، ومنع الزمن أن يتطرّق إليه بشيء وجعله بذلك فوق الزمن[3].

ولم يكن عثمان ينفرد بالرأي، إنما هو موافقة من الصحابة[4]، لحسم هذا النزاع، ووقف هذا التيار المتلاطم ووحد كتابة المصحف ونسخها في مصاحف أرسلت إلى الأمصار، وهي المصاحف المسماة بالعثمانية، إذ تمت نسخها في عهده. فقرأ أهل كل

---

[1] الرزقاني، مناهل العرفان جـ.1، ص396 – 397.

[2] شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والإصطلاح (الدوحة – قطر: دار الثقافة، ط. 1، 1412هـ/ 1992م)، ص19.

[3] الرافعي، إعجاز القرآن، ص36.

[4] روي أن علي بن أبي طالب قال: لاتقولوا في عثمان إلا خيرا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإ منا، قال: ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك،

مصر بما في مصحفهم تلقيا عن الصحابة الذين تلقوه من فم النبي، فقام التابعون في ذلك مقام الصحابة. ثم تفرّع قوم للقراءة والأخذ والضبط، حتى صاروا في هذا الباب أئمة يرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم واعتماد روايتهم. وبذلك، أجمعت الأمة على ما في هذه المصاحف، وعلى ترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال، لأنهم لم يثبت عندهم ثبوتا متواترا أنه من القرآن.

المطلب الرابع: المصحف العثماني والقراءات القرآنية

الرسم العثماني الذي أجمعت عليه الأمة بترتيب سوره وآياته، بل كلماته وحروفه، ليس لنا إلى إنكاره من سبيل، وأصبح مصحف عثمان الإمام والدليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير، ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان وإبدال لفظ بآخر. وهذا الرسم -كما ذهب إليه أكثر العلماء- ليس توقيفا عن النبي، ولكنه اصطلاح ارتضاه عثمان، وتلقته الأمة بالقبول، وتوارثته منذ عهد عثمان، فاتفقت على منع مخالفته. ولو أبيحت كتابته بالإملاء المتداول لكل عصر لأدى ذلك إلى تغيير خط القرآن من عصر لآخر، ومن بلد إلى آخر، كما أدى إلى تفاوت بعض الكلمات من رواية لأخرى، إضافة إلى أن التغيير في الخط باب إلى التغيير في الكلمات. فالحفاظ على الرسم العثماني -إذن- ضمان لصيانة القرآن من التغيير والتبديل[1].

وحجة تيسير القراءة على الطلاب والدارسين بانتفاء التعارض بين رسم القرآن والرسم الإملائي المتداول، لا تكون مبرّرا للتغيير في الرسم، لأن الصعوبة التي توجد في القراءة بالمصحف أول الأمر تتحول إلى سهولة تامة بالمران والممارسة. المتعلم الذي يعتاد القراءة في المصحف يألف ذلك ويفهم الفوارق الإملائية بالإشارات الموضوعة على الكلمات.

=وهذا يكاد كفرا، قلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت. ينظر: ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص19 و 30.

[1] مناع القطان، مباحث، ص149.

إننا بعد ذلك أمام واقع أن القرآن بالرسم العثماني هو الوحيد المتداول بين الناس، وأنه لا يكتب شيء في المصحف العثماني إلا ما ثبتت قرآنيته. ولكن هناك حرص من أن يقال إن عثمان أسقط شيئا أو منع الناس من القراءات التي أقرها رسول الله.

نحن لا ننكر هذا الادعاء، لأن التاريخ يخبرنا ذلك. ولكن علينا أن ننتبه أن عثمان لم يكن يسقط في مصحفه إلا ما لا يتوافر ثبوته قرآنا متواترا. فالمصحف العثماني– إذن– مكتوب بما يمثل الأحرف التي ثبتت أنها من الرسول، وأجمع الصحابة تماما أن ذلك قد استقر في العرضة الأخيرة، عدم النقط والشكل في مصاحف عثمان يجعل اللفظ محتملا لتلك الأوجه المختلفة[1]، فاللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات، كانوا يرسمونه بصورة واحدة لا محالة. وكذلك اللفظ الذي تختلف فيه القراءات ويحتمل عليها رسم واحد عند خلوه من النقط والشكل نحو كلمة "فتبينوا" تقرأ أيضا "فتثبتوا"، وكلمة "نَنْشُرُها" تقرأ أيضا "نُنْشِزُها"[2].

وأما الذي تختلف فيه وجوه القراءات، ولا يمكن رسمه في خط محتمل لتلك الوجوه كلها، فإنهم يكتبونه برسم يوافق بعض الوجوه في مصحف ثم يكتبونه برسم آخر يوافق بعض الوجوه الأخرى في مصحف آخر. وكانوا يتحاشون أن يكتبوه بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يُتوهم أن اللفظ نزل مكررا بالوجهين في قراءة واحدة وليس الأمر كذلك، بل هما قراءتان نزل اللفظ في إحداهما بوجه واحد وفي الثانية بوجه آخر من غير تكرار في واحدة منهما. وكذلك كانوا يتحاشون أن يكتبوا هذا اللفظ في مصحف واحد برسمين: أحدهما في الأصل والآخر في الحاشية لئلا يتوهم أن الثاني تصحيح للأول[3]. فخلو المصحف من النقط والشكل يجعله يستوعب القراءات القرآنية المختلفة.

---

[1] ابن الجزري، النشر، جـ1، ص7.

[2] صبحي الصالح، مباحث، ص86.

[3] المرجع نفسه، ص86.

المطلب الخامس: رسم المصحف وتطوره

الإملاء الذي كتبت به المصاحف العثمانية مختلف عن إملائنا، فهو خال من الشكل والإعجام والزخرفة[1]، وهو مخالف في عدد من كلماته لقواعد الإملاء المعروفة. وذكر السيوطي أمر الرسم ينحصر في القواعد الستة، وهي: الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل[2].

وقد اكتسب الرسم العثماني للمصحف كثيرا من القدسية بسبب إجماع المسلمين على استحسانه. وقد تكررت طباعة المصحف العثماني آلاف مرات إلى حد اليوم من غير أي تغير في لفظه ولا في ترتيب سوره وآياته، إلا أن هذا الرسم قد تعرض إلى تطور تناول منه الإعجام والشكل وما إلى ذلك. أما هيكل حروف الكلمة فقد بقي على حالته الأولى ولا يتغير.

وقد كان الوضع الذي عليه المصاحف الأولى من التجرد إلا من هيكل الحروف، مقبولا في العصر الأول لقرب الناس من زمان التلقي ومشافهة صاحب الوحي. ولكن الأمر تطور بعد ذلك إلى أن أصبح بقاء المصحف خاليا من الشكل والإعجام، مصدر خطأ وتصحيف كثير في قراءته.

وقد روي أن معاوية كتب إلى زياد بن سمية –وليّ البصرة– يطلب عبد الله ابنه. فلما قدم عليه كلمه، فوجده يلحن، فرده إلى زياد وكتب إليه كتابا يلومه فيه، ويقول: «أ مثل عبد الله يُضيَّع؟» فبعث زياد إلى أبي الأسود[3]، فقال: «يا أبا الأسود، إن هذه الحمراء

---

[1] أبو عمرو الداني (371 – 444هـ، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق:غزة حسن، (دمشق: دار الفكر، ط.3، 1407هـ/1986م)، ص2.

[2] السيوطي، الإتقان، جـ.2، ص167.

[3] هو ظالم بن عمر الدؤلي البصري أول من أسس النحو، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف، توفي سنة 67 أو 68 هـ. ينظر: أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، جـ.3 (بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ط.1، 1411هـ/1991م)، ص436.

قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى». فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل.

فوجه زياد رجلا، فقال له: «اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مرّ بك، فاقرأ شيئا من القرآن، وتعمد اللحن فيه». ففعل ذلك فلما مر به أبو الأسود رفع صوته، فقال: «أن الله بريء من المشركين ورسولِه»[1]. فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: «عزّ وجه الله أن يبرأ من رسوله». ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال: «يا هذا، قد أجبتك إلى ما سألتَ، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن»[2].

وهذه الرواية في عمومه كاشف عن البداية وحقيقة السبب الذي اقتضى استعمال هذه الإضافات الرمزية في كتابة المصاحف. وبرغم هذا، نتساءل عما يمكن أن يكون لكل من الشكل والإعجام من تاريخ سابق على هذا التحديد، وهل كان تجريد المصاحف العثمانية أمرا محتوما بحكم الخط الذي كان مستعملا آنذاك، أو إنه كان اختيارا من عثمان والكتبة لحكمة أرادوها؟

ومن المقطوع به أن الخط العربي القديم لم يكن مضبوطا بالحركات، بل إن ذلك شأن جميع الخطوط السامية. وقد كان الناس يعتمدون في ضبط كلامهم على سليقتهم، أو على ما يحدده سياق الكلام[3]. وأما الإعجام فأمره مختلف عن ذلك، تروي لنا أخبار تدل على أنه كان معروفا لدى كتاب العرب في الجاهلية.

إن النقط والإعجام لم يكونا بدعا في العصرالأموي، بل الظاهر أنهما موضوعان مع الحروف. وعن الأوزاعي أن قتادة– أحد التابعين– قال: بدؤوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا[4]. وشهدت دراسات النقوس الوثائق على صحة هذا القول باكتشاف وثيقة بردية يرجع تاريخها إلى سنة 32هـ على عهد عمر بن الخطاب، وأن بعض حروفها

---

[1] التوبة: 3.

[2] الداني، المحكم، ص3 – 4.

[3] شاهين، تاريخ القرآن، ص112.

[4] الداني، المحكم، ص2 – 3.

مضبوطة بالشكل والإعجام[1]، وكذلك الشأن في نقش وجد بقرب الطائف، ومؤرخ في سنة 58هـ على عهد معاوية بن أبي سفيان[2]. ولكن لا شك لدينا في ان نظام الشكل والإعجام المشار إليه مختلف عن النظام الذي نتبعه اليوم.

ويبدو من تلك الروايات أن الصحابة وأكابر التابعين هم الذين ابتدؤا بنقط القرآن، وإنما أخلوا المصاحف من ذلك ومن الشكل من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في القراءات التي أذن الله لعباده من الأخذ بها[3]. فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما أوجب نقطها وشكلها، وهو فساد ألسنة العرب، ووقوع اللحن في قراءة القرآن بسبب انتشار الإسلام إلى غير العرب والخوف من تزيّد ذلك مع مرور الأيام، ومن حدوث التغيير والتحريف في نص القرآن.

النقط الذي وضعه الصحابة لم يكن على طريقة خاصة اتبعوها حين بدؤوا بنقط المصاحف، ولم يجعلوا النقط نظاما يشمل ألفاظ القرآن جميعا. بل كان عملهم محاولات تيسيرية فحسب. ومما يدل على ذلك أن أهل المدينة كانوا ينقطون على غير النقط المعروف، فتركوه ونقطوا نقط أهل البصرة[4]. وكذلك أن أهل مكة أيضا كانوا على غير هذا النقط، فتركو نقطهم واتبعوا طريقة أهل البصرة[5].

ثم جاء جيل التابعين واهتموا بالنقط وتداولوه حتى جعلوا منه نظاما له قواعد وأصول تُتّبع. وقد اختلفت الآراء فيمن ابتدأ بوضع نظام النقط من التابعين؛ أهو أبو الأسود الدؤلي، أم يحيى بن يعمر العدواني (توفي 129هـ)[6]، أم نصر بن عاصم الليثي

---

[1] شاهين، تاريخ القرآن، ص114.

[2] المرجع نفسه، ص114.

[3] الداني، المحكم، ص3.

[4] المرجع نفسه، ص7.

[5] المرجع نفسه، ص8.

[6] هو يحيى بن يعمر العدواني البصري، كان عالما من علماء التابعين، عارفا بالحديث والتفسير والفقه والنحو ولغات العرب. ينظر: الحموي، معجم الأدباء، جـ. 5، ص553 و 638.

(توفي 89هـ)[1]، وكلهم من أهل البصرة. ويحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقط المصاحف للناس بالبصرة، وأخذ ذلك عن أبي الأسود، إذ كان السابق إلى ذلك والمبتدئ به. وكانت الطريقة التي وضعها أبو الأسود تقوم على حركات الإعراب والتنوين في أواخر الكلم، لا غير. ثم جاء الخليل بن أحمد[2] بعد ذلك بقرن من الزمان، وابتدع علامات أخرى وزادها في الطريقة مثل علامات الهمز والتشديد والروم والإشمام[3]. ثم اتّبع الناس فيه سنتهم وانتشر ذلك في سائر البلدان والأوان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] هو نصر بن عاصم الليثي النحوي، كان فقيها من كبار التابعين. ينظر: الحموي، معجم الأدباء، جـ. 5، ص553

[2] هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي واضع علم العروض، ولد في البصرة سنة 100 هـ وتوفي فيها سنة 170 هـ، وكان سيد الأدباء في علمه وزهده. ينظر: المرجع نفسه، جـ.3، ص300.

[3] الداني، المحكم، ص6.

الفصل الثالث

التحليل المقارن
بين التوراة والقرآن

مقارنة في المصدرية

مقارنة في التدوين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

التوراة بصفتها كتاب منزل من عند الله على النبي موسى عليه السلام، تعتبر نتيجة مسلمة من حيث الأصل الأوّلي، لكن الاختلاف ليس في هذا الأصل بل في التحقق فيما هو مثبت. ويختلف كل من اليهود والمسيحيين والمسلمين في جواب السؤال: هل التوراة الحالية هي توراة موسى الأصلية؟

كانت المواقف التقليدية عند اليهود والمسيحيين تصرعلى حقانية التوراة الحالية، برغم من اختلاف بينهما. وأما المسلمون فيقرّون ببعثة موسى وعيسى عليهما السلام، وبالتالي يقرّون بالتوراة والإنجيل من حيث الأصل، لكنهم يقرون ما ثبت وحيا ويرفضون أي إضافات بشرية.

وفي المقابل نجد القرآن الذي يعتقده المسلمون وحيا إلهيا خاليا من التغيرات كما هو الموحى إلى سفير الله في الأرض محمدﷺ، ينكره اليهود والمسيحيون بمجرد إنكارهم على ما جاء بعدهما من الوحي.

إن الدراسات في الفصلين السابقين بجميع نواحيها بيّنتْ لنا بطلان إلهية التوراة الحالية، كما أثبتتْ حقانية النص القرآني. وجائت الدراسة المقارنة بينهما ليتضح ما فيهما من الفروق.

المبحث الأول

مقارنة في المصدرية

اختلف الدارسون في محاور نقدهم لمصدرية كل من التوراة والقرآن. نقد مصدرية التوراة يدور حول (1) التناقضات داخل النص و(2) التناقضات بين النص وبين الوقائع التاريخية والمعطيات العلمية، وتستخدم هتان النقطتان لاختبار ما إذا كانت التوراة مصدرها الوحي الإلهي. أما نقد مصدرية القرآن فيتمحور حول: مَن علّم محمدا أو مِن أين أخذ محمد معلوماته القرآنية؟ وذلك لأن الجميع يعترفون بسلامة القرآن من تلك التناقضات، كما يعلمون أمية محمد، وهو بهذه الصفة لا يمكن أن يصدر من نفسه القرآن.

يتفق العقلاء على أن أي كتاب تثبت صلته بالله لا يمكن أن يكون مخالفا للحقيقة، لأن الله كامل فلا يمكن أن يتم في حقه الخطأ. إذا ادّعى اليهود والمسيحيون أن التوراة الحالية هي كتاب الله وأن الله هو الذي ألّفها عبر الوحي النازل على نبيّه موسى، وكذلك ادّعى المسلمون أن القرآن كتاب أنزل الله على نبيه الخاتم محمدﷺ، فهل يستوفي كل منهما هذا الشرط ويبرأ من الخلل والنقائص مما ينقض نسبته إلى الوحي الإلهي؟

وهذا المنطلق يقود الدراسات النقدية لاكتشاف حقيقة الكتب المقدسة. ولأجل الوصول إلى النتيجة الموضوعية أسقطت هذه الدراسات قدسية تلك الكتب، كما تعاملت معها من باب افتراضي مفادها: إنها تدّعي تمثيل الله، ولا بد أن يثبت ذلك بدليل موضوعي إقناعي منطقي غير ذاتي أو تبريري. وهذه الدراسات شكلت صدمة عنيدة للتوراة بشقيها المتن والسند، بخلاف القرآن الذي صمد بقوة هائلة ومثيرة أدهشت كل من حاول مناقشته في معرض إجابته عن حقيقة تمثيل الله بصدق.

لقد سجلت الدراسات أن التوراة تعاني من أبعاد متنوعة؛ تناسق التواريخ واضطراب المتن وتناقضه واختلاف أدبي وتدخّل بشري في صياغة النص وحتى مفاهيم لاأخلاقية مخيفة. وهذا بالضرورة يؤثر على طبيعة قداستها، كما يحمل الباحثين إلى النقاش في اختلاف المواضيع من شكل أدبي وصياغة النص وتدوينه وأزمانه وحتى محاكمة ما يحتوي عليه النص. وتحت عنوان أن التوراة هي كتاب له صلة مع الله، فمن الضروري أن لا يكون في متنها أي تناقض داخليا كان أو خارجيا، ولكن الواقع عكس ذلك حيث نجد في متن هذا الكتاب ما لا يحصى من تناقضات و أخطاء تاريخية وعلمية.

وقد لوحظ من جانب المقابلة بين النص ومعطيات العلم وجود الاختلافات بينهما. وبمساعدة علم الآثار استطاع العلماء أن يقوم بتحليل تاريخ وحضارة الإسرائيليين القدماء، وحضارة جيرانهم الفلسطينيّين والفينيقيّين والآراميّين وغيرهم، واكتشفوا عدم صحة كثير من القصص التوراتية، بل أن العديد من أحداث التاريخ التوراتي لم تحدث أصلا لا في المكان، ولا بالطريقة والأوصاف التي رُويت في الكتاب المقدّس اليهودي[1]. وهذا كله يسبّب تصادم العلماء وشرّاح التوراة، لأنه لايمكن القبول في نظر العلماء بأن يكون الوحي الإلهي متكلّما عن شيء غير صحيح بل كاذب، في حين أن شرّاح التوراة يصرّون بصحة المعلومات التوراتية.

تذكر التوراة أن السلالات البشرية والتواريخ التي تحدّد بداية الإنسان (خلق آدم) ترجع إلى سبعة وثلاثين قرنا قبل المسيح، ولكن الاكتشافات تدل على أنّ آثار أعمال إنسانية ترجع دون ريب إلى عشرة آلاف قبل الميلاد، وبإمكان العلم أن يقوم في المستقبل بتدقيقات أعظم من تقديراتنا الحالية. إننا نجهل التاريخ لظهور الإنسان على الأرض ولكنا واثقين بأننا لن نثبت أبدا أن الإنسان ظهر على الأرض منذ 5736 سنة كما شاء التقويم

[1] إسرائيل فنكلستاين ونيل أسير سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها؛ رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء أكتشافات علم الآثار، ترجمة من الإنجيزية: سعد رستم (دمشق– سورية: دار الأوائل، ط.1، 2005)، ص28.

العبري سنة 1975. إذن، إن معطيات التوراة المتعلقة بالإنسان القديم خاطئة[1].

مثال آخر، أن موسى أمر اليهود ببناء الهيكل على جبل عيبال، كما ورد في النسخة العبرية[2]، بينما ذكرت النسخة السامرية أنه أمرهم ببنائه في جبل جرزيم. وعيبال وجرزيم جبلان متقابلان[3]. ويقول المنطق السليم أنه إذا اختلف خبران متضادان، فلا يمكن بحال أن يصح كلاهما، والمحتمل أن يكون واحد منهما خطأ، بل يخطأ كلاهما. وبذلك تقع نزاع شديد بين اليهود والسامريين في ادعاء صحة كتابه، ويتهم كل فرقة أن الفرقة الأخرى حرفت التوراة في هذا المقام[4].

أما التناقض بين النصين داخل التوراة فمثال ذلك ما أورده سفر التكوين في وصف حقائق الكون أن الله قد غضب في زمن نوح على الجنس الإنساني وأراد أن يمحه عن وجه الأرض[5]، فقرر أعمار الإنسان لا تتجاوز 120 سنة[6]، وفي المقابل جاء في السفر نفسه أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من 148 إلى 600 سنة[7]. وهذا لون ظاهر من

---

[1] موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة وتعليق حسن خالد (بيروت ودمشق: المكتب الإسلامي، ط.3، 1990)، ص20.

[2] تثنية 27: 4 ‹وَمَا إِنْ تَعْبُرُوا نَهْرَ الأُرْدُنَّ حَتَّى تُنْصِبُوا هَذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى جَبَلِ عِيبَالَ›.

[3] تثنية 27: 12 – 13 ‹هَذِهِ هِيَ الأَسْبَاطُ الَّتِي تَقِفُ عَلَى جَبَلِ جِرِزِّيمَ لِيُبَارِكُوا الشَّعْبَ بَعْدَ عُبُورِكُمْ نَهْرَ الأُرْدُنِّ: أَسْبَاطُ شِمْعُونَ وَلاَوِي وَيَهُوذَا وَيَسَّاكَرَ وَيُوسُفَ وَبَنْيَامِينَ.– أَمَّا الأَسْبَاطُ الَّتِي تَقِفُ عَلَى جَبَلِ عِيبَالَ لإِعْلاَنِ اللَّعْنَةِ فَهِيَ أَسْبَاطُ رَأُوبَيْنَ وَجَادٍ وَأَشِيرَ وَزَبُولُونَ وَدَانٍ وَنَفْتَالِي.

[4] انظر أمثلة أخرى للتناقض بين نسخ التوراة في: الهندي، إظهار الحق، جـ.1 (بيروت–لبنان، دار الجيل، د.ت)، ص197–206، و 241–246.

[5] تكوين 6: 7 ‹وَقَالَ الرَّبُّ: أَمْحُو الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوَاحِفِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي خَلَقْتُهُ›.

[6] تكوين 6: 3 ‹فَقَالَ الرَّبُّ: ‹لَنْ يَمْكُثَ رُوحِي مُجَاهِداً فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. هُوَ بَشَرِيٌّ زَائِغٌ، لِذَلِكَ لَنْ تَطُولَ أَيَّامُهُ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فَقَطْ›.

[7] تكوين 11: 10 – 32

التناقض بين النصين. والأمثلة في تناقض الروايات واضطرابها متعددة مما يدل على أن يد الإنسان تدخلت في تسجيل الأحداث، لأنها اليد الوحيدة الممكن في حقها الخطأ والقصور.

وما يهمنا في ذكر الأمثلة السابقة إظهار وجود خلل فاضح في التوراة، مرة في تطابقها مع حقائق الأشياء تاريخية وعلمية، ومرة في الانسجام بين النصوص، ومرة أخرى في التطابق بين النسخ. وهذا الخلل لا يمكن أن ينسب إلى الله، لأن النقص والخطأ والاضطراب من صفات الناقص ولا يمكن بحال أن يكون من الله.

وجدير بالإشارة إلى أن الموقف التقليدي في اليهودية يصرّ على الاعتقاد أن موسى هو الذي كتب الأسفار الخمسة بوحي من الله حرفا حرفا، بل حتى أصغر حروفه وهو «ي (yod = ي)»[1]، وأصبح هذا الاعتقاد شرطا لإيمان كل يهودي، حيث جاء في الركن الثامن من أركان الإيمان الثلاثة عشر: «أنا أومن إيمانا تاما أن التوراة التي بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى»[2]. الاعتقاد في موسوية التوراة في اليهودية لا يختلف عنه في المسيحية، غير أنها تنظر إلى أن حرفية النص كتبها موسى كبشر. فالتوراة عند المسيحية كتاب سماوي ذو طبيعة بشرية[3]. واستمر الاعتقاد على ذلك الحال حتى ظهرت الأبحاث التي تشكك في مدى مصداقية هذا الكلام.

وقد ذكرنا في الفصل السابق بعض الدراسات التي قام بها العلماء عن التوراة، وكلها تؤكد خلاف ما كانوا يدّعونه: إن هذه الأسفار لم يكتبها موسى، وإنما كتبها عشرات بل مئات الأحبار شيئا فشيئا في عدة مجامع طوال قرون عديدة، بعضها للأخبار وبعضها للشرائع. وتؤكد أيضا أن هذه الكتب تحتوي على تراث الشعب اليهودي الذي تكوّن من عدة قبائل مهاجرة تجمعت على مدى عدة قرون، كما تحتوي على أساطير

---

[1] Jewish Encyclopedia, Art. Torah, Online Edition Copyright © 2002 (www. Jewish Encyclopedia.com).

[2] The Catholic Encyclopedia, Art. Pentateuch, Online Edition Copyright © 2005 (www.newadvent.org/cathen).

[3] المرجع نفسه.

الشعوب الأخرى مثل البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم[1]، وأن هذه المعلومات مأخوذة من والوثائق أهمها اليهوي والإلوهيمي وتثنية الاشتراع والكهنوتي، والتي ترجع إلى قرون متفاوتة.

وهذا التنوّع الذي تملكه التوراة من تعداد الكتّاب واختلاف الأزمان والمصادر والتراث، كلها يساهم حدوث التناقض الرهيب في أسفارها. سلسلة النسب التي تضعها تختلف اختلافا كبيرا، كما أن أسماء الأماكن والأشخاص تختلف حسب الرواية والنص المستخدم، بل إن نفس الحدث يصوَّر ويذكر بطرق مختلفة متناقضة تماما. فالتوراة تسجل اصطلاحات فلكية كنعانية عرفها بنو إسرائيل بعد دخولهم أرض فلسطين واستقرارهم فيها، أي بعد عهد موسى بقرون طويلة. كما تسجل أسماء لقري و أشخاص لم توجد في عهد موسى وإنما وجدت بعده بقرون.

وكذلك تؤكد الدراسات أن تاريخ اليهود القديم الذي سجلته التوراة وغيرها من أسفار العهد القديم أسطوري اختلقه المتآمرون البابليون. وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيّين وذريّتهم وهي المحافظة على أنفسهم كعرق متمرّد متآمر منطوي على نفسه منظَّم شبه عسكري وغير قابل للاندماج مع غيرهم وجعلهم فئة قتالية لا تقبل المصالحة والمهادنة ولا تعرف الرحمة والشفقة. ويدعون أن هذا كله تنفيذ لأمر الرب الذي اختارهم كشعبه المختار، ورسالة الأنبياء لليهود هي تذكار لكي يأتيهم الوعد بأن يتملّكوا الأرض ومن عليها، وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود. فلذلك يجد قارئ كتب اليهود المقدسة وخاصة الأسفار التالية للهكزاتوك أنها ليست إلا وصف للعقوبات والمكافآت التي سيستحقّها اليهود حسبما يكونوا قد عصوا أو أطاعوا الشريعة. فاليهودية إذن «منظمة قتالية تلبس لبوس ديني لإخفاء وتبرير غايتهم الإجرامية ضد العالم»[2].

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر، جـ.2 (بيروت و تونس: دارالجيل، 1998)، ص385.

[2] سهيل ديب (ترجمة وتعليق)، التوراة تاريخها وغاياتها (بيروت: دار النفائس، 1986)، ص40.

ونتيجة هذه الأبحاث الكثيرة اضطرت الأحبار والقسيسين والرهبان إلى تغيير موقفهم، وإلى الاعتراف بأن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى لم يكتبها موسى،، وكذلك يعترفون بالتناقضات الموجودة في هذه الأسفار، ولكنهم يصرّون في الاعتقاد أن موسى مؤسس التعاليم الشفوية التي دوّنها الكتّاب المجهولين فيما بعد ضمن الأسفار التي نسبوها إليه[1]، وأن روح الله كانت تظلّل أولئك الذين قاموا بصياغة هذه الكتب في مدى ألف عام[2]. وهم يفسرون هذه الأخطاء والتناقضات أن شكل الكتاب غير منوط بالله بل بمحرري الكتاب، شأنهم شأن جميع الناس، وقد يكون لهؤلاء نظريات خاطئة أو معلومات مغلوطة، مما يترك أثرا لهم في النص الكتابي، إلا أنهم يؤمنون بأن ذلك يعود إلى الغلاف الذي تنقل فيه الرسالة[3].

ولهذا نجد الكتاب المقدس يبقى مفتوحا مستقبلا للتغيير والتصحيح لانتزاع الرسالة من الغلاف، ولاكتشاف ما يقول الله في نصوص الكتاب المقدس حسب زعمهم. والسؤال الذي نقدم لهم هو: «على أي أساس يصححون كتابهم، وعلى أي معيار ينزعون أخطاء أدخلها أيدي الناس في كلام الله، أليس هذه زيادة تسلل أيديهم في كتاب الله»؟

ونرى ما في القرآن عكس ما رأيناه في التوراة، إذ القرآن يذكر المعلومات المنسجمة والموافقة للحقائق العلمية والتاريخية. وقد قام كثير من الباحثين بدراسة الحقائق القرآنية، ولا أحد من هذه كلها يصطدم مع وجهة النظر العلمية. ويكفينا المثال لذلك ذكر القرآن التعقد الذي يشتمل عليه عالم الحياة، من خلق الإنسان والمادة الأساسية للحياة وزوجية الحياة وماهية الموت والحياة وغيرها[4]، إنه نظام لم يعرفه الإنسان إلا بعد التطور

---

[1] **Jewish Encyclopedia, Art. Torah.**

[2] توماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة كميل حشيمة (بيروت: دار المشرق، **1992**)، ص**19**.

[3] المرجع نفسه، ص**19**.

[4] لمعرفة الأيات القرآنية عن هذه الظاهرة ودراستها من خلال منظور بيولوجي دقيق المستوى، ينظر: عبد الباسط الجمل، عالم الحياة بين القرآن والعلم، (القاهرة: عالم الكتب، ط.1، **2001**).

الهائل الذي شهده حقل العلم والتقنية في العصر الحديث، حيث عمل آلاف العلماء على استكشاف العديد من الحقائق العلمية عن عالم الحياة. لذا، فإن الإنسان قبل ذلك لا يمكن أن يتحدث عن دقائق عالم الحياة لأنه لم يقم بدراستها.

يقول موريس بوكاي معبرا عن إعجابه الشديد بالقرآن: «لقد أثارت الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدعاوى الخاصة بموضوعات شديدة التنوع ومطابقة تماما للمعارف الحديثة، وذلك في نص كتاب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا. في البداية لم يكن لي أي إيمان بالإسلام، وقد طرقت دراسة هذه النصوص بروح متحررة من كل حكم مسبق وبموضوعية تامة....إن أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه نص القرآن لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة، فهناك الخلق، وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم النبات والتناسل الإنساني. وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكشف في القرآن أي خطأ»[1].

لاشك، أن الجميع يعلمون أن الرسول محمدا كان أميا لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ومن ثم فهو بالاستنتاج البشري –مهما كان ذكاءه وعبقريته– شأنه في ذلك مثل شأن من كانوا يعيشون معه في تلك الحقبة من الزمن.

إذن ما هو القول عن الإشارات التي تنبؤنا بحقائق علمية لم نكتشفها إلا مؤخرا. ولو كان القرآن من عند محمد الأمي لعجز أن يأتي بمثل هذه الإشارات العلمية البينة. كيف استطاع في القرن السابع لميلاد المسيح أن يقول ما اتضح أنه يتفق مع المعارف العلمية الحديثة؟ وماذا كان سيحدث لدعوته لو ثبت عكس ما قال؟

---

[1] بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن، ص19. واعترف كذلك بهذه الحقيقة كثير من علماء العالم. ينظر: سليمان عمر قوش، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم (الدوحة: دار الحرمين، ط.1، 1407هـ/1987م)، ص173 – 175.

الذي تحدث ليس هو محمد، بل هو خالق محمد وخالق عالم الحياة. هو الذي أنزل عليه القرآن تبيانا لكل شيء.

محاولة تسوية في المصدرية

المشكلة في نص التوراة هي لأنها تم تَناقُلها شفاهةً، فمعظم المؤرخين يرجحون تعرُّضها إلى ما تتعرض له عادةً كل الأقوال المنقولة مشافهة، وبالتالي دخلتها التناقضات وتداخلت النصوص والمصادر. ومن هنا، فقد قام نقاد التوراة بتطوير نظرية المصادر وتفسير التناقضات وعدم التجانس الأسلوبي. وهذا كله يثبت أنها ليست إلا تأليف أيدي البشر، وإنما نُسبت إلى الله لأجل الحصول على القداسة عند الناس.

اتجهت من هذا المنطلق جهود المستشرقين إلى إنكار صلة القرآن بالوحي. وهذا كما يبدو مجرد محاولة تسوية بين القرآن وكتبهم المقدسة. شأن القرآن عندهم مثل شأن تلك الكتب التي تم إنكار الجميع نسبتها إلى الوحي الإلهي، بل هي كتب ألفها البشر ومأخوذة من المصادر الموجودة في وقتها، بعضها وثائق وبعضها أساطير تناقلت عبر الأجيال.

فهم بذلك يزعمون أن القرآن لا يعد أن يكون كلاما من تأليف محمد، وليس له صلة بالوحي والسماء. يقول جورج سيل George Sale (1697 – 1739م)[1] في مقدمة ترجمته للقرآن: «أما كون محمد مؤلفا حقيقيا ومخترعا رئيسيا للقرآن فهو أمر لا خلاف فيه، ولو أنه من الرجح أنه قد تلقى عونا غير قليل في تأليفه، لأن مواطنيه لم يسكتوا عن الاعترض عليه»[2]. كما يقول وات Montgomery Watt إن محمدا داع الإصلاح

---

[1] مستشرق إنجليزي مشهور بترجمته للقرآن الكريم. ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين (بيروت: دار العلم للملايين، ط.3، 1993)، ص174.

[2] Mohammad Khalifa, The Sublime Qur'an and Orientalism, 1st ed. (London & New York: Longman, 1983), p10.

الاجتماعي الأخلاقي في إطار عصره وبيئته الوثنية. لا فرق بينه وبين سائر الدعاة المصلحين[1].

فدعوة محمد عند هاملتون جيب H.A.R. Gibb (1895 – 1971م)[2] عبارة عن إفراز اجتماعي، وعبقرية فردية، أرادت أن تثبت لها مكانا في الوسط الاجتماعي الذي ظهرت فيه[3]. وهي عند المستشرق اليهودي المجري الدم جولدتسيهر **Ignaz Goldziher** (ولد **1850**م) ليس إلا ما أخذه محمد عن العناصر اليهودية والمسيحية من أفكار وعقائد دينية عرفها بفضل اتصاله بها، ثم تبناها ودعا قومه إلى الإيمان بها، لإنه أدرك أهميتها وقيمتها في رفع مستواهم الديني والأخلاقي[4].

ورأى رودلف **Wilhelm Rudolf** بعد ما لاحظ التشابه الحاصل بين القصص القرآنية و بين القصص اليهودية والمسيحية أن محمدا أخذها عن اليهود والمسيحيين المقيمين في مكة يومها، وخصوصا مع وجود روايات تاريخية تفيد وقوع اتصالات وحصول لقاءات بينهما[5]. كما ادعى خطأه ﷺ في الاقتباس حينما يجد قصة القرآن تختلف عما ترويه الكتب السابقة له في نفس الحادثة[6]. أما نزول القرآن تدريجيا فهو عنده راجع إلى

---

[1] أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق (لندن–بريطانيا، المنتدى الإسلامي، ط.2، د.ت)، ص118.

[2] كان **Hamilton Alexander Roskeen Gibb** الإنجليزي من محرري دائرة المعارف الإسلامية وأستاذا للغة العربية في جامعة اكسفورد، ثم انتقل إلى أمريكا سنة **1957** وصار مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط في جامعة هارفرد **Harvard** حتى تقاعد. ومن أشهر كتابه **Mohammedanisme** (المحمدية). ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص174.

[3] نقلا عن محمد درّاجي، الاستشراق والدراسات القرآنية (الجزائر: دار البلاغ، د.ت)، ص22.

[4] إجناتس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرَين (بيروت: دار الرائد العربي، **1946**)، ص5 – 6.

[5] نقلا عن: أبو المجد أحمد، حقيقة كتاب صلة القرآن باليهودية والمسيحية (قسنطينة: دار البعث، ط.1، 1406هـ/1986م)، ص40 – 41.

[6] المرجع نفسه، ص15.

تدريجية معرفة محمد بالنقليات اليهودية المسيحية[1].

وأخطر من ذلك، ما اتهمه المستشرقون أن ما ادعاه محمد وحيا ليس إلا نتيجة داع الصرع الذي أصابه[2]. وأين هذا الادعاء من شهادة من عاشر النبي من الأعداء والأصدقاء أنه كان أصح الناس بدنا وأقواهم -جسما، وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية[3]. والمصاب بالصرع لا يكون في مثل الصحة التي كان يتمتع بها الرسولﷺ. ولو كان مريضا بالصرع حقيقة لنقل معاصروه أعراض ذلك المرض.

فهل يعقل من المصروع أن يأتي بمثل ما أتى به محمدﷺ من آيات بينات وتشريعات محكمات وعظات بليغات وأخلاقا عظيمة وكلاما بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة تحدي به الناس أن يأتوا بأقصر سورة منه فما استطاعوا.

وهذا ضماد الذي كان طبيبا يعالج الصرع، وجاء الكفار به ليعالج النبي من هذا المرض الذي ظن أنه مصاب به، فلما سمع القرآن رقّ قلبه وأعلن إسلامه[4]. لقد كان ضماد طبيبا لكن سرعان ما أدرك نبوّة محمد الحقة، فأعلن إسلامه على الفور وشهد أنه رسول الله. أليس من الغريب أن يصبح المريض طبيبا وأن يصبح الطبيب مريضا ويشفى بإعلان إسلامه؟ أ ليس هذا دليلا لا يرقى إليه بهتان أو شك؟

---

[1] نقلا عن: أبو المجد أحمد، حقيقة كتاب، ص18.

[2] أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص138.

[3] بيّن محمد علوي الحسني المالكي أحوال صحة االرسول البدنية بيانا معتمدا على الأحاديث الصحيحة، فليراجع إلى كتابه: محمد الإنسان الكامل (جدة: دار الشروق، 1408ط. 4، هـ/1987م)، ص44 – 45.

[4] مسلم، الجامع الصحيح، جـ.2، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ص593 – 594. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جـ.1 (بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي، ط.2، 1409هـ/1989م)، ص196 – 197.

آراء المستشرقين على اختلاف تعليلاتهم اتفقت على أن القرآن من تأليف محمد نتيجة افتكاكه بالبيئة التي كان يعيش فيها، وانتخابه من العناصر اليهودية والمسيحية. وإنما نسبه إلى الوحي لاستصلاح الناس باستجاب طاعته عليهم ونفاذ أمره فيهم، لأن تلك النسبة تجعل لقوله من الحرمة والتعظيم ما لا يكون لو نسبه إلى نفسه.

ويبدو أن هذا الافتراض لاينطلق من المقدمات الصحيحة ويعاكس الواقع التاريخي. فإن من تتبع سيرة محمد يجد أنه كان أبعد الناس عن المداجاة والمواربة التي يزعمونها، وكان في دقة الصدق في جليل الشؤون وحقيرها، وأن ذلك كان أخص شمائله وأظهر صفاته قبل النبوة وبعدها، وقد شهد له بهذا قومه عندما دعاهم في مطلع الدعوة وقال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أ كنتم مصدقي؟ قالوا نعم، ما جربنا عليك كذبا»[1]. إن سيرته تدل واضحة الدلالة على مبلغ صدقه وأمانته في دعوى الوحي الذي اعترف بأنه لم يكن ليأتي بشيء من القرآن من تلقاء نفسه.

انتظار النبي الوحي لتبرئة زوجه عائشة في حادثة الإفك[2]، وعتاب القرآن الشديد

---

[1] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، جـ.6، باب تفسير سورة تبت (بيروت–لبنان، دار الفكر، 1401هـ/1981م)، ص94. وكذلك: مسلم، الجامع الصحيح، جـ.1، باب في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين ، ص193 – 194. وينظر كذلك إلى: الشهادة العلنية في هذا الموضوع التي قدمها أبو سفيان زعيم المعسكر المناوي للإسلام، والذي لم يعتنق الإسلام إلا بعد عامين من هذه الشهادة التي استخلص منها الإمبراطور هرقل أنه «لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله». مسلم، الجامع الصحيح، جـ.3، باب كتاب النبي إلى هرقل، ص1393 – 1397.

[2] اتهم المنافقون عائشة زوجة الرسول بما يمس كرامته وشرفه، ولا يعرف الرسول حقيقة الأمر، حتى ينزل الوحي ببراءتها. فماذا كان يمنعه لو أن القرآن كلامه من أن يقول كلاما يقطع به ألسنة المتخرصين، وماذا كان يستفيد من التأجيل حتى مضى شهر بأكمله وهو في التحرج بسبب هذا الاتهام؟ ينظر: البخاري، جـ.3، الجامع الصحيح، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ص154 – 158. وكذلك: مسلم، جـ.4، الجامع الصحيح، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، 2129 – 2137.

لخطأه في المسائل المباحة من الأمثلة في سيرته[1]، كلها تدل على أنه ليس لديه دخل في القرآن. وموقف الرسول ﷺ من النص موقف المفسر الذي يلتمس الدلالات من العبارة ويأخذ بأرفق احتمالاتها[2]. هذا هو الواقع التاريخي الذى يبين لنا العلاقة بين النبي والقرآن.

والدليل الآخر هو أن المعلومات القرآنية تشهد بأنها لا يمكن أن تصدر من محمد. وذلك لما في القرآن من أنباء ما قد سبق وتنبوات مستقبلية وما فيه من قيم أخلاقية وأمور دينية تفاصيلية[3]. أعلن القرآن عن أحداث سيتمّ فيما بعد، وقد وقع كما كان متوقعا بالضبط. أعلن عن الهزيمة التي منيت بها قريش ببدر في العام الثاني الهجري، وذلك قبل الهجرة بسنوات عديدة، على أنها ستقع في نفس الوقت الذي ينهزم فيه الفرس من الرومان[4].

لقد كان الإخبار بهذا النصر وبأنه كائن في وقت معين إخبارا بأمرين كل منهما خارج عن متناول الظنون. ذلك أن دولة الروم بعد أن هزمها الفرس، كانت قد بلغت

---

[1] الأنفال: 67 – 68 ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۞ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾، معاتبا في قبول الرسول الفداء من أسرى بدر. وعبس: 1 وما بعدها ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ معاتبا في تولية الرسول عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى رضي الله عنه اهتماما بنفر من أكابر قريش في دعوتهم إلى الإسلام.

ولو كان هذا صادرا عن وجدانه تعبيرا عن ندمه حين تبين له خطأ رأيه لما أعلنه عن نفسه بهذا التعنيف الشديد والعتاب القاسي.

[2] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، (الكويت: دار القلم، ط.4، 1977)، ص16.

[3] المرجع نفسه، ص29 – 42.

[4] الروم: 2 – 5 ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

من الضعف حدا لم يكن يظن أحد أنها تقوم بعد ذلك قائمة، فضلا عن أن يحدد الوقت الذي سيكون لها فيه النصر، وهو بضع سنين. على أن القرآن لم يكتف بهذين الوعدين، بل عززهما بثالث هو أن اليوم الذي يكون فيه النصر للروم على الفرس سيقع فيه نصر للمسلمين على المشركين. وهل كان يفكر أحد في السنوات العديدة قبل الهجرة أن المسلمين– وهم في حالتهم الضعيفة– سينتصرون على مشركي مكة؟

وإذا كان كل واحد من النصرين في حد ذاته مستبعدا عند الناس أشد الاستبعاد، فكيف الظن بوقوعهما مقترنين في يوم؟ تمت للروم الغلبة على الفرس في أقل من تسع سنين، وكان يوم نصرها هو اليوم الذي وقع فيه النصر للمسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى[1]. هل الرجل الأمي جاء بهذا التنبأ من عند نفسه؟ وماذا كان يحدث في دعوته لو ثبت عكس ما تنبأ؟

لقد افترض المستشرقون أنها صدرت من محمد نفسه لما له من ذكاء فطري وبصيرة نافذة. ولكن لابد من الانتباه أن ليس كل ما في القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير، ولا مما يدركه الوجدان والشعور. ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم.

الأنباء التاريخية الدقيقة لا جدال في أن سبيلها النقل لا العقل، وأنها تجيء من خارج النفس لامن داخلها. ذكر القرآن أنباء ما سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث بوقائعها الدقيقة، بل حتى الأرقام الحسابية، وهو لم يعاصر تلك الأمم والأحداث في قرونها المختلفة كما لم يتوارث كتبها ليدرس دقائقها ويروي أخبارها.

[1] دراز، النبأ العظيم، ص41 – 42

ذكر القرآن قصة نوح أنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما[1]، موافقا لما في التوراة أنه عاش تسعمائة وخمسين سنة[2].

أما أمر الدين فإن غاية ما يستطيع أن يدركه العقل من بحثه، هو أن فوق هذا العالم إلها قاهرا دبره، وأنه وضعه على مقتضى الحكمة والعدالة، فلا بد أن يعيده كرة أخرى لينال كل عامل جزاء عمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ولكن القرآن لايقف عند هذه المرحلة، بل يشرح حدود الإيمان مفصلة،ويصف لنا بدء الخلق ونهايته، ويصف لنا الجنة ونعيمها والنار ونعيمها[3].

فمن أين جاء محمد بتلك المعلومات، إذا لا يمكن أن تصدر تلك كلها من ذكاءه وبصيرته؟ ويزعم الطاعنون أن محمدا أخذها عن اليهود والمسيحيين يومه من غير أن يأتوا ببرهان ولا شاهد من حقائق التاريخ. فادعاءهم -إذن- ادعاء ألهمه التخيل أكثر مما أنتجه البحث العلمي.

وذلك لأن التاريخ أخبرنا أن محمدا يعيش في جماعة تقوم على حياة القبائل العربية وأعرافها وتقاليدها، والإنسان الذي يعيش في مثل هذه الجماعة فحسب -كما أقرّه "جولد تسيهر" - لا يمكن أن يكون له أخلاق عالية بسبب وثنيته الغليظة الجوفاء[4]. وأن محمدا لم يكن يتعلم عن أي بشر، ولا لقي قبل إعلان نبوته فلانا من العلماء فجلس إليه يستمع من حديثه عن علوم الدين، ومن قصصه عن الأولين والآخرين. وما سجله التاريخ هو أنه رأى في طفولته راهبا اسمه بحيرى في سوق بصرى بالشام حينما رافق عمه أبا طالب في عمل التجارة، من غير أن يجالسه ويتعلم عنه شيئا. ولذلك اعترف جون

---

[1] العنكبوت: 14 ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾.

[2] تكوين 9: 29 «ثُمَّ مَاتَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ تِسْعُ مِئَةٍ وَخَمْسُونَ سَنَة»

[3] دراز، النبأ العظيم، ص32.

[4] العقيدة والشريعة، ص7.

إسبوسيتو John L. Esposito بصعوبة إثبات تأثير التجارة التي قام بها محمد على الدين الذي بشّر به لعدم الدليل على ذلك[1].

كما أن محمدا لقي في مكة نفسها عالما مسيحيا اسمه ورقة بن نوفل، وكان هذا على إثر مجيء الوحي العلني له وقبل إعلان نبوته، كما أنه لقي بعد إعلان نبوته كثيرا من علماء اليهود والنصارى في المدينة. لكنه قبل نبوته لم يسمع منهم شيئا من هذه الأحاديث البتة، أما الذين لقوه بعد النبوة فقد سمع منهم وسمعوا منه، ولكنهم كانوا له سائلين وعنه آخذين، وكان هو لهم معلما وواعظا ومنذرا ومبشرا.

إذا كان محمد تعلم من اليهود أو المسيحيين، فالاحتمالات التاريخية التي حدثت هي:

1. لم يكن محمد يرفض هذا الواقع المتهم، إذ أنه كان مشهورا بالصدق والأمانة.
2. لم يدعو إلى ما يخالف عقيدة اليهود والمسيحيين.
3. في جو المعارضة بين محمد والمنكرين بنبوته، من المؤكد أن كان معلمه معروف طوال دعوته.
4. من المؤكد أن معلم محمد كان يكتب كتابا أو على الأقل سورة تماثل القرآن.
5. لا يمكن أن تعلم محمد من اليهود والمسيحيين، وفي الوقت نفسه ذكر القرآن أنهم أهل الكتاب الذين يحرفون كتابهم.
6. إذا كذب محمد في نبوته وفي نشر الوحي إلى أصحابه، فلم يكونوا يطيعونه ويتمسكون بتعاليمه رغم شدة التعذيب الذي يواجهونه من قِبَل الكفار.

[1] John L. Esposito, Islam The Straight Path (New York: Oxford Uviversity Press, 1994), p.23.

7. لم يوقع محمد نفسه في الخطر الأشد بالإقرار أن القرآن وحي من الله إذا لم يكن كذلك، إذ اليهود والمسيحيون لم يقرّوا بوحيية كتبهم[1].

والواقع الذي حدث بالفعل يفيدنا ما يخالف الاحتمالات المذكورة، كما أن عديدة من آيات القرآن تصف وتوبخ أغلاط اليهود والمسيحيين. مثال ذلك:﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2]، – ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ،– تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[3].

وهذا طرف من وصفه وتفنيده لخرفاتهم الدينية: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[4]، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[5]، ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴾[6]،– ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

---

[1] **Mohammad Khalifa, The Sublime Qur'an, p. 102 - 105**

[2] آل عمران: **65**، مبينة فساد دعوى اليهود والنصارى وتنازعهم أمام الرسول أن إبراهيم الخليل منهم. ولما كان الدليل عقليا قال الله موبخا لهم: أفلا تعقلون؟ ينظر: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، جـ.1 (بيروت: دار الكتب العلمية، **1993**)، ص**450**.

[3] البقرة: **140 – 141**، تقريرا على فساد دعواهم، لأنه قد علم أن هذين الدينين حدثا بعدهم. ينظر: المرجع نفسه، جـ.**1**، ص**216 – 217**.

[4] ق: **38**، وهي تكذيب لقولهم في تكوين **2**: **2** «وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ أَتَمَّ اللهُ عَمَلَهُ الَّذِي قَامَ بِهِ، فَاسْتَرَاحَ فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا عَمِلَهُ»، أي من خلق الخلق ستة أيام.

[5] البقرة: **102**، وهي تبرئة له من زعمهم في 1ملوك **11**: **3** «فَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةِ زَوْجَةٍ، وَثَلاَثُ مِئَةِ مَحْظِيَّةٍ، فَانْحَرَفْنَ بِقَلْبِهِ عَنِ الرَّبِّ»، أي أنه كان مرتدا من دين يهوه.

[6] المائدة: **64**.

عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [1]. ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [2]. ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ - لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ - مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾[3].

وهذه سلسلة أخرى من جرائمهم يسردها القرآن متواصلة الحلقات: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ، - وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ، - وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ، - بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[4].

فقد أكد القرآن تحريف أهل الكتاب، وقد نعى تحريفهم لعقيدة التوحيد وانحرافهم عنها إلى عقائد باطلة وما ترتب عليها من أغلاطهم وخرفاتهم الدينية، كما وبّخهم بسرد جرائمهم المتواصلة. فكيف يعقل أن يأخذ القرآن عن الكتب التي أعلن تحريفها، وعن أولئك الذين حرّفوها وانحرفوا عن عقائدها وتعاليمها وشرائعها الموحى بها؟

وحقيقة أخرى تدل على عدم اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل، هي أن هناك أشياء كثيرة وردت في القرآن من القصص ولم ترد في الأسفار المتداولة. منها ما ورد في القرآن والأسفار متغايرا في الجزئيات بل وفي الصور المهمة معا، فليس في أسفار الخروج

---

[1] التوبة: 30.

[2] المائدة: 18.

[3] المائدة: 72 و 73 و 75.

[4] النساء: 155 – 158.

والعدد والتثنية التي فيها خبر فرعون وموسى وبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر وحياتهم في سيناء ما في القرآن من خبر سحرة فرعون والتقاف الثعبان لحبالهم وعصيهم وسجودهم وإيمانهم ومحاورتهم مع فرعون وجنوده حينما خرجوا لمطاردة بني إسرائيل[1].

وليس في سفر التكوين ما ورد في القرآن من أمر الله الملائكة بالسجود لآدم

وعصيان إبليس، والموسوس لآدم وحواء في الجنة هو الحية في حين أنه في القرآن إبليس. وليس في هذا السفر ما في القرآن من قصص إبراهيم مع قومه وتخريبه لأصنامهم ونظرته في النجوم وحجاجه مع قومه ومحاولتهم إحراقه في النار واسكانه بعض ذريته عند بيت الله الحرام في مكة واشتراك إبراهيم وإسماعيل في بناء الكعبة. وليس في هذا السفر ما في القرآن من محاورة بين نوح وابنه الكافر وعدم ركوبه في السفينة وغرقه ومحاورة نوح مع الله تعالى في ذلك. وليس في السفر ما في القرآن من تمزيق امرأة العزيز قميص يوسف ولا كلام النسوة ودعوة امرأة العزيز إياهن وتقطيعهن أيديهن[2].

وهذا كله يدل على أن صاحب القرآن لا يتلقى منهم، بل بالعكس كان معلّما لهم يصحح أغلاطهم وينعى سوءهم. والموافقة بين القرآن وبين التعاليم والحوادث التاريخية المعينة المذكورة في الكتب السابقة له، تشير إلى مصدرها الواحد وهو الوحي الإلهي، لأن تلك الكتب في الأصل موحى بها إلى موسى وغيره من الأنبياء. أما الاختلاف بينها فقد أثبتت الدراسات العلمية إقرار القرآن أنها محرفة ومبدلة. فجاء القرآن مصدقا لتلك الكتب ومهيمنا عليها. ويقول الطبري في تفسيره لكلمتي التصديق والهيمنة: «القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبره أهل الكتاب في كتبهم بأمر إن كان في القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا»[3].

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي (القاهرة: دار المعارف، ط.3، 1983)، ص116 – 117.

[2] المرجع نفسه، ص 116.

[3] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، جـ.6 (بيروت–لبنان، دار الفكر، 1398هـ/1978م)، ص173.

إذا لا يصح القول إن محمدا كان يتلقى معلوماته القرآنية من اليهود والنصارى وغيرهم، ولا يمكن أيضا أن تكون تلك المعلومات من عند نفسه، فلا سبيل إلا الإيمان بأنه لاينطق عن الهوى، وإِنْ القرآن إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى. ولما كان المستشرقون يعترفون بأنبياء العهد القديم وإلهامية رسل العهد الجديد، وهم كانوا أقل شأنا من محمد في التاريخ والتأثير، كان إنكارهم لنبوة محمد نتيجة للتعصب الديني الذي يملأ نفوسهم[1].

[1] مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم (بيروت، ودمشق وعمّان: المكتب الإسلامي، ط.3، 1405هـ/1985م)، ص18.

المبحث الثاني

مقارنة في التدوين

كل عاقل يقر بأنه لا يجوز أن ينسب إلى الله مالم يقله، لذلك لا بد من إقامة الدليل على نسبة شيء إلى الله. لقد بيّنا في المبحث السابق مقارنة بين التوراة والقرآن في صحة نسبة كل منهما إلى الله من الناحية المصدرية، وننتقل في هذا المبحث إلى المرحلة الأخرى في تلك النسبة، وهي امتحان ما إذا كان كل منهما يرجع إلى النبي الموحى إليه: هل ترجع التوراة إلى النبي موسى، والقرآن إلى النبي محمد؟ وذلك من خلال السند الموصل بين كل منهما وبين النبي المنتسَب إليه، وكذلك الظروف المحيطة بتدوينهما.

الفرق الأساسي بين التوراة والقرآن يتمحور في وجود وغياب النص الأصلي الموحى به. وهما من ناحية كونهما سجلّين لما جاء به كل من موسى ومحمد، ظهرا في فترة زمن معين، وبالتالي يخضع للدراسة النقدية مثل غيرهما من وثائق التاريخ، وذلك لتقييم نسبة كل منهما إلى صاحبه.

وأثبتت هذه الدراسة النقدية أن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد لأنه قد كتب في الحال، ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب، وكانوا يرددونه أثناء صلواتهم، وبخاصة في رمضان. وقد رتب محمد أياته في سور، جمعت مباشرة عقب وفاته في عهد خليفته الأول، و في عهد خليفته الثالث عثمان (23 – 35 هـ) ألفت في المصحف الذي هو بين أيدينا.

وخلافا لما جري في القرآن، فإن التوراة بدأ تدوينها في فترة زمنية تبعُد عن موسى مئات السنين، وكذلك عن كثير من الأحداث التي تم التأريخ لها. كما أن عملية التدوين لم تتم دفعة واحدة، وإنما تمت خلال مدة زمنية طويلة، ولا يستطيع أحد أن يعين ما يمكن أن يكون النص الأصلي، وما هو نصيب تصرف البشر بالنص. وهذا بالإضافة إلى

إقرار نص التوراة نفسها بضياع توراة موسى بسبب الحروب والسبي والشتات في الأرض وبسبب ترك بني إسرائيل دينهم وارتدادهم عنه إلى عبادة الأوثان، وبقى منها أيات يذكرهم الأنبياء الذي أرسلهم الله إليهم، ولكنهم كثيرا ما كانوا يقتلون الأنبياء بعد تكذيبهم والاستهزاء بهم، وذلك مثل ما فعلوا مع زكريا ويوحنا وعيسى عليهم السلام. ثم قام أحبارهم بعد ذلك بجمع تلك الشذرات من الأخبار والآيات المتبقية بعد انتقائها بما يناسب هواهم فصاغوها في كتب إضافة إلى ما ألفوه، وقدموها للناس على أساس أنها التوراة التي أنزلها الله.

لقد أثبتت الدراسات أن التوراة التي قدمها حلقيا الكاهن للملك يوشيا ليس لها علاقة بموسى، وأن التوراة التي قرأها عزرا أمام جمهور اليهود بعد عودتهم من السبي ليست تلك التي اعتمد عليها يوشيا في برنامج إصلاحه الديني. كما أن التوراة المتداولة لاتمت صلته بعزرا إلا ظنّا، إضافة إلى وجود ثلاث نسخ أساسية يدعي كل صاحبها أن ما في يده هي الأصلية، وأن ما عند فرقة أخرى هي المحرفة. فالتوراة الحالية بعيدة كل البعد عن العلاقة بالتوراة التي أنزل الله على موسى والتي اعترف بها اليهود والمسيحيون والمسلمون.

تعترف الكتابات الحاخامية واللاهوتية بأن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل، ظهرت في عدد كبير من الآيات والقراءات. كما تشير إلى ضرورة تمحيص هذه الوثائق المختلفة لكي يثبت نص أقرب ما يمكن من الأصل الأول، ولا يرجى في حال من الأحوال وصوله إلى الأصل نفسه.

كما تتفق الدراسات النقدية على أن التوراة كان تراثا شعبيا، لاسند له إلا الذاكرة التي نقلته بشكل شفوي من جيل إلى جيل إما عن طريق الأسرة وإما عن طريق المعابد. وهذه الطريقة قد تكون غير دقيقة في نتائجها ومحفوفة بأخطاء واسعة في اللفظ والمعنى وشبه ذلك قبل أن يكون أسفارا. ولا يخفى أن مجموعة من تلك الكتابات لا تمت بصلة

إلى النص السماوي، إنما هي تراث كسبي بشري نضج عبر عمل الأجيال. ومن أجل إعداد كتاب له نوع من القداسة السماوية بدأ الشروع بجمع هذا المجموع المتنافر إلى النص السماوي.

ولا يشك النقاد في أزمة أصل هذه الوثائق بسبب طريقة النقل مرة وبسبب أزمة بيئية كانت تلاحق الأتباع مرة أخرى، مما يؤدي إلى افتراض تدخل البشر في إعادة بناء النص من جديد عبر مجموعة من إدخالات قاتلة. وهذا يضعف بالضرورة نسبة الوثوق في نسبته إلى النص الإلهي الذي نزل على موسى. وسبب آخر يزيد من هامش الخطورة، أن التعدد في النقل والاختلاف والإضفاء والزيادة لم يكن له نحو مرجعي من مقياس يرجع إليه في التصويب و الاحتكام.

اعترفت الروايات التوراتية بانقطاع سند التوراة قبل زمان يوشيا. والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير سلطته لا تمت علاقته بتوراة موسى، ومن المحتمل أن هذه النسخة كانت تحتوي على مجموعة من النصوص المنقولة شفويا جيلا عن جيل، وهذه النسخة تركها اليهود بعد موته وضاعت في حادثة نبوخذنصر (587 ق.م). وأحسن تقدير أن إعادة تدوين التورة حصلت في بابل أثناء فترة التهجير، ذلك أنه لم يأت ذكر لقراءة التوراة في الاحتفالات الخاصة بافتتاح الهيكل، وأول إشارة إلى قراءة التوراة هي قراءة عزرا عام 444 ق.م بعد عودتهم من بابل.

وبذلك يظهر أن تحرير نص التوراة المنسوبة إلى موسى امتد طوال قرون بعد موت صاحبه المزعزم. وهذا يعني أن هناك تفاوتا في التدوين، بل التفاوت واضح في المدوِّن والمدوَّن، وصل إلى حد أنه تم تدوين وفاة موسى في ظل أسفار تقول أن موسى هو الذي دونها. هل من المعقول أن يكتب موسى عن نفسه كيف مات؟ وقد يقال أنه كتبه وهو يموت، وأن الإله أملى عليه هذه الكلمات[1]. وهل يعقل أن يكتب الميت؟ وكيف كان يعلم

[1] The Catholic Encyclopedia, Art. Pentateuch.

الناس ما كتبه؟ والواضح أنه تفسير تبريري لا أساس له من المنطق، وأن هناك من يكتب النص ويسنده إلى موسى لإقناع من يقرأه للأخذ والقبول والقداسة.

وقد بيّن كثير من النقاد والباحثين مجموعة من ظواهر غير إيجابية وقعت تحت مجهر النقد، من ظواهر المنافرات والتكرارات في النصوص، مثل الأقوال الخاصة بالخلق والطوفان واختطاف يوسف وما جرى له بمصر، والتصويرات المختلفة للأحداث الهامة، بحيث يقف الناقد على مجموعة من أمور مثيرة تدلّ على نوع ظاهر من الاضطراب في النص بل والصياغة الأدبية فضلا عن التناقضات المتعددة التي تروي حدثا واحدا. كل ذلك ترك تحت أعيننا مجموعة من ظواهر قاصرة تدعو إلى الشك في كثير من المواضع، مما يستوجب ضرورة دخول أكثر من يد في تأليف هذه الأسفار.

وكل من يدخل هذا المجال يجد بوضوح التعديلات التي وردت على النص، وذلك في فترات مختلفة من تاريخ الشعب الإسرائيلي، ما يعني أن النص عانى من مجموعة التغيرات. ولقد حمل هذا الثقل أكثر من ناقد وباحث وقد اختلفت المواضيع التي رسى عليها النقاش من شكل أدبي إلى أزمان التدوين، بل إلى محاكمة ما يحتوي عليه النص.

محاولة التسوية في النسبة إلى الموحى إليه

نظرا لما مرّت به التوراة وغيرها من الكتب التي يقدسها اليهود والمسيحيون، فقد شكّك كثير من المستشرقين في أن النص القرآني قد دوّن في فترة نزوله، وأحيط بكامل العناية حتى لا يضيع منه شيء. كما زعموا أن الخلفاء الذين قاموا بجمع النصوص المفرقة وتدوينها في مصحف، أضافوا بعض النصوص وحذفوا بعضا آخر. وزد على ذلك خلو المصحف العثماني عن الشكل والإعجام -في زعمهم- هو سبب لاختلاف في القراءات[1]. وعليه فالنص القرآني لم يأمن من التحريف والتبديل مثل غيرها من الكتب.

---

[1] جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، (بيروت-لبنان: دار اقرأ، ط.3، 1405هـ/1985م)، ص7-9.

ويبدو أن هذه الاتهامات لا تعتمد على الحقائق التاريخية، ولكنها محاولة تسوية القرآن بكتبهم فحسب. وذلك لأن التاريخ سجّل أن النبي كان كلما نزلت عليه آية أو مجموعة آيات من القرآن يطلب من كتّاب الوحي أن يكتبوها بالوسائل التي كانت متوافرة في يومها، ويضعوا تلك الآيات في الموضع الذي يحدده لهم النبي. ولأن لايختلط القرآن بغيره نهى الرسول عن كتابة شيء غير القرآن[1].

ولا بد من الإشارة أن الصحابة كانوا يأخذون القرآن مشافهة عن رسول الله ويحفظونه في صدورهم، وضبطوه ضبطا تاما، ثم حفّظوه لغيرهم. بل إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور أكثر منه على حفظ المصاحف والسطور. وهكذا تلقته الأمة جيلا عن جيل، وخلفا عن سلف، الأمر الذي يكسبه وثوقا بصحة نصوصه لا يدانيه فيها أي كتاب آخر. إنه لبحث عن الضبط والتدقيق حتى لايضيع شيء من نصوص القرآن.

أما قول زيد بن ثابت أثناء ذكره لحديث الجمع في عهد أبي بكر: «فقمتُ فتتبّعتُ القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره. وقوله في نسخ المصاحف في عهد عثمان: «ففقدت آية من الأحزاب كنت أسمع رسول الله يقرأ بها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري». فهاتان الروايتان -كما زعمه المشككون- تدلان على أنه اعتمد في جمع القرآن على بعض الروايات الآحادية.

لقد ذكرنا فيما سبق أن الاعتماد في جمع القرآن كان على الحفظ والكتابة، وذكرنا أيضا أن اللجنة كانت لا تكتب شيئا من القرآن إلا بشاهدي عدل. فقول زيد إنما الغرض من ذلك زيادة التوثيق والاطمئنان، لأنه كان يعرف الآيتين السابقتين ومتيقنا لقرآنيتهما،

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن من كتب شيئا سوى القرآن فليمحه». رواه أحمد في مسنده، جـ.3، باب مسند أبي سعيد الخدري، ص12.

وكذلك الذين معه، ولكنه كان يبحث عن شاهد غير نفسه، وعن أصلهما المكتوب بين يدي الرسول، فوجدهما عند خزيمة وأثبتهما في المصحف.

فالقرآن كُتبت جميع نصوصه في زمن التنزيل، كما حُفظت في زمنه، فتعاضد المحفوظ والمكتوب معا على توفير الدرجة العالية من الصيانة والحفظ والضبط والتدقيق لهذا الكتاب الذي يتضمن الوحي الأعلى. وإنما لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عصر الرسول، لأن النبي كان لآخر لحظة من عمره ينتظر نزول الوحي عليه. وقد حدث جمعه في مصحف واحد بعد تمام الوحي في عهد الخليفة أبي بكر، وتم تعميمه ونشره على الأمصار والأقاليم في عهد الخليفة عثمان بن عفان.

والاتهام الآخر عن صحة نص القرآن، وجود الإضافة والنقصان من الوحي الإلهي. أما ما يخص الإضافة فيستدل الطاعنون بما ورد أن عبد الله ابن مسعود كان لا يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه، وتلك السور موجودة في المصحف العثماني.

هذه الرواية تخالف ما تواتر عن ابن مسعود، بدليل صحة قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، وفيها المعوذتان والفاتحة[1]. وينبغي أن يُعلَم أن تركه في مصحفه لا يستلزم إنكار كونها من القرآن، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحتين مخافة الشك والنسيان، وأنها مأمونة في سورة «الحمد» لقصرها وشهرتها وقراءة كل مسلم بها في الصلاة؛ وفي المعوّذتين لأن المسلمين يعوذون بهما أولادهم اتباعا لسنة رسولهم، فلمّا لم يخف على الفاتحة والمعوّذتين طرحها من مصحفه[2]. أو على فرض صحة الرواية، فهي كانت قبل أن يستيقن ذلك، مثلها مثل موقفه من مصحف عثمان، فلما علم ذلك

---

[1] أبو عمرو الداني، كتاب التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتويرتزل (بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، 1416هـ/1996م)، ص21.

[2] مؤلف مجهول، كتاب المباني، ضمن كتاب "مقدمتان في علوم القرآن"، تحقيق أرثر جَفري (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1392هـ/1972م)، ص13 و 96.

وتيقّنه رجع إلى رأي الجماعة[1].

وأما الاتهام بإسقاط بعض الأيات، فممّا يستدل عليه عدم قبول لجنة تدوين المصحف في عهد أبي بكر، آية الرجم الذي شهد بها عمر. وما الذي يمنع اللجنة تسجيل هذه الآية، ويمنع عمر الإصرار بشهادته ويمنعه أيضا إدخالها داخل النص القرآني حينما استولى الخلافة، مع أن الصحابة كانوا يعرفون بأن الرسول نفذ الحكم الذي يحمله الآية؟ والجواب هو أن اللجنة– وعمر منهم بصفته صاحب الرأي والمشرف على العمل– اشترطت شاهدين عدل ومطابقة المحفوظ بالمكتوب، وبينما عمر لا يأتي بشاهد سوى نفسه. فاللجنة إذن لا تسقط إلا ما لا يثبت تواتر قرآنيته.

ولقد ظن بعض الشيعة أن عثمان أسقط آيات تتعلق بعلي بن أبي طالب، بل أسقط سورة كاملة من القرآن تسمى «سورة النورين» التي تشير إلى محمد وعلي. غير أن ميرزا اسكندر كاظم هاجمها وأثبت هذا العالم أن السورة المزعومة لا يوجد لها أثر في مصحف الشيعة، ولم يرد ذكرها في مؤلفاتهم الخاصة بمجادلتهم التقليدية. فضلا عن أنها لم توجد عند الشيعة إلا في القرن السابع الهجري[2].

فلو صح ذلك الادعاء لراجعه حملة القرآن، وخاصة عليا بن أبي طالب حينما استولى أمر المسلمين. إلا أنه حتى عليّ نفسه أقر بصحة المصحف العثماني. ولا يخبرنا التاريخ أنه اختلف عن عثمان في أمر المصحف إلا في شيئين: ترتيب السور، الذي هو أمر اجتهادي؛ ومجموعة من القراءات التي تنتسب إلى الاختلاف اللهجي أحيانا، وإلى الزيادة البيانة أحيانا أخرى[3]. مثل ذلك في قوله تعالى «وطلح» الذي قرأه علي «وطلع»، وبرغم

---

[1] مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق أرثر جَفري، ص13 و 96.، ص95.

[2] محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن عرض تاريخي و تحليل مقارن، ترجمة محمد عبد العظيم علي (الكويت: دار القلم، 1986)، ص40. وكذلك: عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن (القاهرة: نهضة مصر، 2005)،، ص197 – 199.

[3] شاهين، تاريخ القرآن، ص 200.

من ذلك لايريد تغييره[1].

ومن المحتمل أن هذا الاختلاف كان قبل عصر عثمان، إذ من الثابت أن صحابة النبي فعلوا بمصاحفهم ما أمره أمير المؤمنين عثمان ابن عفان لذلك، وأن عليا كان مع الصحابة في عملهم وأنه عندما تم الأمر كان عليا شاهدا له، بل قيل في روايات الشيعة إنه صاحب الرأي[2]. وهذا ما يفسر قوله: «رحم الله عثمان، لو وليتُه لفعلتُ ما فعل في المصاحف»[3]. كما يفسر واقع عدم وجود المصاحف المخالفة للمصحف العثماني، والتي نُسب إلى عليّ وابن مسعود وأبيّ وغيرهم من الصحابة.

وبعد ذلك كله، ينبغي لنا أن نذكر موقف الشيعة الإمامية (أهم فرق الشيعة): «إن اعتقادنا في جملة القرآن الذي أوحى به الله تعالى إلى نبيه محمد هو كل ما تحتويه دفتا المصاحف المتداولة بين الناس لا أكثر، وعدد السور المتعارف عليه بين المسلمين هو 114 سورة. أما عندنا فسورتا الضحى والشرح تكونان سورة واحدة، وكذلك سورتا الفيل وقريش، وأيضا سورتا الأنفال والتوبة. أما من ينسب إلينا الاعتقاد في أن القرآن أكثر من ذلك، فهو كاذب»[4]. وهذا الفرق أيضا لا يوجد إلا نظريا عند هؤلاء العلماء، لأن مصحفهم في الواقع لا يختلف عن مصحف أهل السنة في شيء[5].

---

[1] أورد القرطبي في تفسيره أنه قرئ بين يدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: «وطلح منضود»، فقال: وما شأن الطلح؟ إنما هو «وطلع منضود»، ثم قال: «لها طلع نضيد»، فقيل له: أفلا نحولها؟، فقال: لاينبغي أن يهاج القرآن ولا يحول. فقد اختار هذه القراءة، ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه مجمع عليه. محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، جـ.17، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط.2، 1375هـ/ 1954م)، ص208

[2] الزنجاني، تاريخ القرآن، ص74.

[3] ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص30.

[4] دراز، مدخل إلى القرآن، ص40.

[5] المرجع نفسه.

عدم اختلاف المسلمين في المصحف يدعو إلى افتراض أنّ الاختلاف بين الصحابة كان جرى قبل العرضة الأخيرة وعلى حدود الأحرف السبعة الذي اذن الرسول بالقراءة بها. وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم من المهاجرين والأنصار، كانوا يقرؤون القراءة الواحدة، وهي التي قرأها رسول الله على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه[1]. وما روي من زيادات من قراءة الصحابة فإنها تفسير منهم، وكلام من كلامهم، فخلط فيه بعض الناقلين وألحقه بألفاظ القرآن، كما إنها روايات آحادية لا تعارض القطعي الثابت بالتواتر[2].

لو اختلف الصحابة في ألفاظ القرآن لنقل الأئمة القرّاء الذين أخذوا القراءة منهم، وخاصة أنهم كانوا يلتزمون بما أخذوه من شيوخهم، بحيث أقرّ كثير منهم كنافع وأبي عمرو وغيرهما: «لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأتُ لقرأتُ حرف كذا كذا وحرف كذا كذا»[3]. ولكن الواقع يثبت عدم تلك الاختلافات، وأن القراءات المتواترة والمتفرق سندها المتصل إلى الرسول[4]، كلها تطابق المصحف العثماني.

ولننتقل إلى شبهة أخرى يزعمها بعض الناس عن القراءات القرآنية، وهم يحاولون على أن يحملوا إلى أذهان الناس أنها مثل تعدّد النسخ التوراتية. يقول "جولدتسيهر" مؤكدا لرأي نولدكه **Theodor Noldeke** (1836 – 1931م)[5] : «وترجع قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة، تبعا لاختلاف النقط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحتها. بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية، يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية

---

1) الزركشي، البرهان، جـ.1، ص237.

2) كتاب المباني، ص96.

3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، جـ.1 (بيروت–لبنان، دار الفكر، د.ت)، ص17.

4) لمعرفة أسانيد القراءات المشهورة ينظر مثالا: الداني، كتاب التيسير في القراءات السبع، ص20 – 21.

5) مستشرق ألماني حصل على شهادة الدكتوراه في تاريخ القرآن. ينظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، ص595 – 598.

الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها. وإذن، فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطا أصلا، أو لم تتحر الدقة في نقطه وتحريكه»[1].

القول إن الاختلاف في القراءات يرجع إلى خاصية الخط العربي الغافل من النقط والشكل خطأ باطل، لأن القراءات كانت تتداول قبل تدوين المصاحف، ولها ضابطها من أثر أو رواية. كما أن القراءات كانت محفوظة في الصدور قبل تدوينها في المصحف. فلم يكن اختلاف القراءات بين القراء راجع إلى رسم المصحف، وإنما يرجع إلى ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط[2]. فثبت الناس على ما كانوا تلقوه سماعا عن الصحابة بشرط موافقة الرسم العثماني، وتركوا ما يخالف الرسم امتثالا لأمر عثمان الذي وافق عليه الصحابة.

لو كانت القراءة تابعة للرسم لصحت كل قراءة يحتملها رسم المصحف، ولكن الأمر على غير ذلك. فإن بعض ما يحتمل عليه الرسم صحيح مثل «فـــتـــبـــوا» من قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾[3] يقرأ «فتبينوا» أو «فتثبتوا»، وبعضه مردود مثل قراءة «تستكثرون»، من قول تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[4] والرسم «تـسـكـرون»[5]. وذلك لأن الأصل في القراءة تابع للرواية والنقل، وأنها منقولة من أفواه الرجال الحفظة، وما كان الرسم إلا رمزا للقراءة. فما صح سنده من القراءات، وهو إن وافق الرسم فيقبل ويتعبد به، وإن خالف الرسم فهو شاذ يقبل ولا

---

[1] جولدتسيهر، مذاهب التفسير، ص7-9.

[2] ابن الجزري، النشر، جـ.1، ص7.

[3] النساء: 94.

[4] الأعراف: 48.

[5] عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن دوافعها ودفعها (جدة: دار الشروق، ط.2، 1983)، ص27.

يُقرَأ به[1]، وما لا يصح سنده وإن وافق الرسم والعربية فرده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر[2].

وخلاصة القول إن ما بين دفّتين هو القرآن الذي أنزل الله على الرسول ﷺ، وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان منه. وأثبت الدليل عليه أن المسلمين كافة نقلوا من لدن أصحاب رسول الله إلى وقتنا هذا خلفا عن سلف، وآخر عن أول نقلا متواترا، وهم قوم لا يجوز عليهم الإجماع على نقل ما لا أصل له، ولا التواطؤ على الإخبار عن باطل ولا على كتمان ما شاهدوه لكثرتهم وخروجهم عن القصر.

ويعترف بهذا الواقع الباحثون المنصفون الذين ليسوا مسلمين. قال "لو بلوا": «إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذي ليس فيه تغيير يذكر»[3]. وقال موير **Muir William** (**1819 – 1905**م): «إن المصحف الذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة، وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يُعدّ أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا»[4].

ولعل مما يساعد على سلامة القرآن من أي تداخل أيادي البشر، بقاءه في لغته الأصلية، فلا نجد القرآن إلى وقتنا الراهن إلا العربي. أما ترجمته إلى لغات أخرى فيصحبها نصه الأصلي. وفي المقابل نجد التوراة وغيرها من كتب اليهود والمسيحيين مترجمة إلى لغات مختلفة، حتى يصعب عليهم إرجاعها إلى لغتها الأصلية. بل إن أقدم نسخة للتوراة

---

[1] ابن الجزري، النشر، جـ.1، ص14.

[2] المرجع نفسه، جـ.1، ص17.

[3] دراز، مدخل إلى القرآن، ص40.

[4] المرجع نفسه، ص40.

هي السبعينية التي هي مترجمة من الأصل المجهول. وحال الأناجيل التي عند المسيحيين ليس بأحسن مما للتوراة، بحيث إن الأصلية المزعومة مكتوبة باليونانية، وهي لغة لا علاقة لها بيسوع المسيح الناصري الآرامي.

ولتوضيح المقارنة أوجز فيما يلي وعلى نحو المقابلة خصائص كلا الكتابين القرآن والتوراة:

الكتاب / الخصائص	التوراة	القرآن
عدد النسخ	ثلاث (على الأقل)	واحدة
لغة النص الأصلي	العبرية والآرامية	العربية
مستوى اللغة	متعدّد	واحد
النص المترجم	مستقلّ	مقرون بالنص الأصلي
المصدر	الوحي الإلهي والتخيل البشري	الوحي الإلهي
صفة الرسالة	أزلية عرقية	أزلية شاملة
زمن التدوين	طوال قرون عديدة	كتب فور نزوله وجمع فور انقطاعه
كيفية النقل	منقطع شفهي	متواتر شفهي وكتابي
كيفية الحفاظ	لا الحفظ ولا الكتابة	الحفظ والكتابة
نسبة إلى الموحى إليه	غير موثوق بها	موثوق بها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد توصلت من خلال هذا البحث إلى استخلاص النتائج الآتية:

1. إن التوراة الحالية تعاني من الأخطاء التاريخية والعلمية، والتناقض بين فقراتها وأسفارها وكذلك بين نسخها. وكلها لا يمكن أن تصدر من الله المتصف بكل الصفات الكمالية، بل هي من تأليف أناس مجهولين أخذوا معلوماتهم من المصادر المختلفة، ومن أهمها اليهوي والإلوهيمي ويليهما الكهنوتي والتثنوي التي يرجع تاريخها إلى قرون مختلفة. كما تحتوي على تراث الشعب اليهودي وأساطير الشعوب الأخرى مثل البابليين والآشوريين والمصريين وغيرهم.
2. امتدت روايات التوراة إلى ما بعد موت موسىﷺ، وتحدثت عنه بصيغة الغائب وبلغة تختلف عن التي كان يتكلم بها، كما أعطت الشهادات عن حياته وموته. كل ذلك يدل على أن مؤلفها ليس هو موسى، إضافة إلى إقرار نص التوراة ذاتها بضياع توراة موسى. أما النسخة الموجودة فادعى مقدسوها أنها كتبها عزرا الذي عاش بعد وفاة موسى قرابة ثمانية قرون من الزمان.
3. هناك ثلاث نسخ أساسية للتوراة يختلف بعضها عن بعض. وهذه النسخ الثلاث ليس لديها سند يربطها بالتوراة التي أفرزها عزرا. كما أن توراة عزرا تختلف عن تلك التي ادعاها حلقيا في زمن الملك يوشيا. كما أثبتت الدراسات أن توراة يوشيا ليست هي التي جاء بها موسى. فالتوراة الحالية بعيدة كل البعد عن العلاقة بالتوراة التي أنزلها الله على موسى في جبل سيناء، والتي آمن بها اليهود والمسيحيون والمسلمون على حد سواء.
4. إن ما في القرآن من أخبار مستقبلية تحققت كما هي متوقعة، وأنباء ما قد سلف شهد بصحتها التاريخ والكتب السابقة، ومعلومات كونية توافق الاكتشافات الحديثة، وأمور دينية تفصيلية لم يكن محمد يتعلمها من إنسان ولا من قراءة كتاب، كل هذه الأمور تحمل في ذاتها حجة بحق نسبة الصدور من عند الله. لقد

أقر القرآن بهذه الصلة الربانية من خلال آياته، واعترف صاحبه بأن الدور الذي كُلّف به هو تبليغه وتفسيره لأمته، وليس له في القرآن من دخل.

5. إن النص القرآني كُتب فور نزوله، وحفظه المؤمنون عن ظهر قلب، ثم جُمع عقب وفاة الرسول الموحى إليه في عهد خليفته الأول. وفي عهد خليفته الثالث أُلِّف في المصاحف التي أُرسِلت مع الصحابة إلى الأمصار ليُقرؤوا أهلَها، ثم قام التابعون مقام الصحابة في إقراء من جاء بعدهم، واستمر ذلك التسلسل الى يومنا هذا. كل ذلك يضمن أصلية النص القرآني.
6. لا يشكو القرآن من أزمة نص كامل، ولا من أزمة إعادة بناء نص، ولا من أزمة نص متعدد ومتناقض، ولا من أزمة تحريف في الحروف والكلمة. أما تنوع القراءات والآداء فهو رخصة وتوسيع للأمة، كلها في معنى واحد وكلها منقولة بالتواتر من الرسول الموحى إليه. كما أن القرآن ثابت في لغته الأصلية، بخلاف التوراة التي ترجمت إلى اللغات المتنوعة. بل إنّ أقدم نسختها –وهي السبعينية اليونانية– مترجمة من أصل مجهول.

هذا، وقد انتهى هذا البحث المقارن بين التوراة والقرآن، والذي لم يعالج إلا الجانبين: المصدرية والتدوين. كما أن المقارنة بين الكتب المقدسة لا تكمل إلا بتعاطي الأسفار الأخرى لدى اليهود المسيحيين. فالبحث ما يزال في خطواته الأولى، ويدعو إلى بحوث أخرى لتغطية جوانبها المتروكة.

وختاما، أضرع إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم. وصلى الله على أبيائه الطاهرين. والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

- فهرس فقرات الكتاب المقدس
- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأماكن والبلدان
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس فقرات الكتاب المقدس

رقم الإصحاح والفقرة	صفحة
سفر التكوين	
2 : 2	103
3 : 8	29
6 : 7	90
6 : 3	90
9 : 29	101
14 : 14	26
31 : 20	25
31 : 24	25
31 : 9	23
36 : 31	26
سفر الخروج	
3 : 11	20
4 : 10	21
4 : 12	21
4 : 13	21
4 : 14	21
11 : 3	24
12 : 40	25
16 : 35	26
17 : 14	27 ،22
18 : 20	21
24 : 3	33
24 : 7	27
24 : 12	33
31 : 18	34
33 : 11	18
34 : 1	34

رقم الإصحاح والفقرة	صفحة
سفر العدد	
12 : 3	24
21 : 14	27
33 : 2	22
سفرالتثنية	
1 : 5	26
4 : 1	11
18 : 18	20
26 : 5	25
27 : 4	90
27 : 12 - 13	90
31 : 1 - 2	26
31 : 24 - 27	34
31 : 9 - 11	34
32 : 46 - 47	10
33 : 1	24
34 : 5 - 7	21
34 : 10	18
سفر يشوع	
5 : 12	26
8 : 32	34
سفر القضاة	
18 : 29 - 30	26

* استعملت هذه التسمية المتداولة عند أصحاب الكتاب

** ذكرت في هذا الفهرس الاسفار وارقام الفقرات والإصحاحات التي ذكرت نصوصها إما في متن الرسالة وإما في الهوامش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رقم الإصحاح والفقرة	صفحة
سفر صموئيل الأول	
4 : 11	35
6 : 1	35
7 : 2	35
9 : 9 - 10	19
سفر صموئيل الثاني	
6 12	35
6 17	35
سفر الملوك الأول	
8 : 1	35
8 : 6	35
8 : 9	35
11 : 3	103
14 : 22	36
14 : 26	36
14 : 25	36
سفر الملوك االثاني	
22 : 3 - 8	36
سفر أخبار الأيام الثاني	
9 : 31	35
12 : 1	36
12 : 2 - 4	36
36 : 17 - 20	38

رقم الإصحاح والفقرة	صفحة
سفر نحميا	
8 : 1 - 2	38
سفر إشعيا	
40 : 7 - 8	10
59 : 21	11
61 : 1 - 2	12
إنجيل متى	
5 17	12
إنجيل لوفا	
4 : 16 19	12
10 : 26 28	12
18 : 20	12

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	صفحة
سورة البقرة	
37	54
59	65
79	65
87	64
102	103
116	56
133	66
140 - 141	103
185	49
198	73
248	77
259	54
282	54
سورة آل عمران	
19	65
26	64
27	63
49	65
50	67
65	103
67	66
84	65
سورة النساء	
94	116
155 - 158	104
163 - 164	64

رقم الآية	صفحة
سورة المائدة	
3	66
18	104
46	64
48	67
64	104
72، 73 ، 75	104
111	66
سورة الأعراف	
48	116
203	62
204	45
سورة الأنفال	
67 - 68	99
سورة التوبة	
3	83
30	65، 103
31	65
100	56
111	55
سورة يونس	
15	63
37	67

* ذكرت في هذا الفهرس السور وأرقام الآيات التي ذكرت نصوصها إما في متن الرسالة وإما في الهوامش.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

125

رقم الآية	صفحة
سورة يوسف	
2	63
سورة النحل	
36	64
سورة الكهف	
27	63
سورة المؤمنون	
8	55
سورة الشعراء	
195	49
سورة الحج	
78	66
سورة العنكبوت	
14	101
سورة الروم	
2 - 5	99
8	64
سورة الأحزاب	
40	65
سورة فصلت	
44	49
سورة ق	
38	103

رقم الآية	صفحة
سورة الطور	
37	55
سورة النجم	
4	62
سورة الواقعة	
29	55
سورة المزمل	
4	63
سورة القيامة	
16 - 19	63
سورة عبس	
1 وما بعدها	99
سورة التكوير	
19 - 21	62
سورة الأعلى	
6	63
سورة العلق	
1	63
1 - 5	61
سورة القارعة	
5	55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

- أ -

إبراهيم (النبي) 19، 29، 30، 65، 103، 105

أبرهة 59

أبو الأسود 82، 85

أبو بكر 71، 72، 73، 74، 75، 76، 112، 115

أبو خزيمة 111

أبو طالب 59، 101

أبو عبد الرحمن السلمي 79

أبو عمرو 115

أبو موسى الأشعري 69

أبيّ (بن كعب) 48، 114

أستروك (جون) 23، 28، 29

إسحاق (النبي) 7، 19، 29، 30، 103

إسماعيل (النبي) 103، 105

إشعيا (النبي) 12

أم أيمن 59

أنس بن مالك 76

الأوزعي 83

ابن تيمية 22

ابن حزم 22، 28

ابن قتيبة 54

- ب -

بحيرى 59، 101

البخاري 76

- ج -

جروم 40

جولد تسيهر 96، 101، 115

الجويني 22

جيب (هاملتون) 96

- ح -

الحاكم 70

حذيفة بن اليمان 76

حفصة 74، 77، 78

حلقيا 31، 37، 86، 108

- خ -

خديجة 60، 61

الخليل بن أحمد 85

داود (النبي) 5، 27، 35، 46، 59

- ر -

رحبعام بن سليمان 35، 36

رحمة الله الهندي 22

رودلف فلهلم 96

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ز -

زر بن حبيش 112

زياد بن سمية 82، 83

زيد بن ثابت 70، 72، 74، 77، 78، 115

- س -

سبينوزا (باروخ) 23

سرجون الثاني 16

سعيد بن العاص

سليمان 5، 35، 36، 105

السموأل بن يحيى 22

سيل (جورج) 95

سيمون (ريتشاد) 23

السيوطي 53، 78، 82

- ش -

شافان 36

- ص -

صبحي الصالح 54

صموئيل (النبي) 19، 35

- ط -

الطبري (ابن جرير) 53، 105

- ع -

عائشة 60

عامر بن قيس 79

عبد الرحمن بن الحارث 77

عبد الله (بن السائب) 79

عبد الله (بن زياد) 82

عبد الله (بن عبد المطلب) 59

عبد الله (بن مسعود) 48، 69، 73، 112، 114

عبد المطلب 59

عثمان 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 107، 112، 113، 114، 115، 117

عزرا (أو عزير) 13، 28، 38، 39، 41، 103، 108

علي بن أبي طالب 48، 73، 113، 114، 115

عمر 70، 71، 72، 74، 76، 112، 115

- ف -

فرعون 8، 20

- ق -

قتادة 83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ل -

لو بلو 117

لوثر (مارتين) 41

لودز (أدولف) 23، 32، 37

- م -

محمد (رسول الله) 44، 45، 46، 47، 48، 53، 57، 49، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 68، 69، 70، 77، 87، 88، 94، 95، 96، 97، 98، 99، 100، 101، 102، 106,107، 111، 112، 113، 114، 115، 117

المسيح (عيسى) 12، 46، 64، 65، 66، 103، 104

مسيلمة الكذاب

معاوية 82، 84

المغيرة بن شهاب

الملك هنري الثامن 72

موسى (النبي) 2، 3، 5، 7، 8، 9، 10، 14، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 32، 4، 35، 37، 38، 41، 59، 61، 64، 66، 87، 88، 90، 91، 93، 104، 105، 107، 108، 109، 110

موسى (بن ميمون) 10

موير (وليام) 117

- ن -

نافع 115

نبوخذنصر 38، 109

نصر بن عاصم 84

نوح 7، 29

نولدكه (ثيودور) 115

- هـ -

هارون (النبي) 8

هرتزل 11

- و -

وات (مونتجوميري) 95

ورقة بن نوفل 61، 102

- ي -

يحيى بن يعمر 84

يشوع 4، 9، 10، 25، 26، 33، 34

يعقوب (إسرائيل) 7، 11، 19، 25، 29، 30، 103

يوسف 7، 30

يوشيا 31، 34، 36، 37، 38، 39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأماكن والبلدان

- أ -

أدوم 26

أذربيجان 76

الأردن 9، 26

أرمينية 76

إسرائيل (دولة) 14

سرائيل (مملكة) 15، 16، 30، 31

أمريكا 14

أورشليم 16، 35، 36، 37

- ب -

بئر المعونة 71

بابل 38، 109

البيزنطية 59

البحرين 78

بريطانيا 14

البصرة 78، 85

بصرى59، 101

- ح -

حلب 14

- د -

دان 26

- ر -

الرومانية 39، 99، 100

- س -

السامرة 15

سوريا 59

سوسرا 11

سيناء 5، 6، 8، 17، 31، 33، 105

- ش -

الشام 59، 78، 101

- ط -

الطائف 84

- ف -

الفرس 38، 99، 100

فلسطين 11، 39، 92

- ك -

كنعان 9، 25، 26

الكوفة 78

- ل -

لاييش 26

لينغراد 14

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- م -

مدين 8

المدينة 68، 71، 72، 102

مصر 6، 7، 8، 10، 16، 20، 24،
25، 35، 36، 104، 110

مكة 59، 68، 78، 96، 102، 105

موآب 9، 10، 21

يعاريم 35

اليمن 59، 78

يهوذا 29، 31، 36، 38

اليونانية 39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

اعتمدتُ في هذا البحث على المصادر والمراجع، وفي مقدمتها القرآن الكريم برواية حفص، والكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد طبعة جمعية الكتاب المقدس- لبنان سنة 1997.

الكتب العربية والكتب المترجمة

- أبو المجد أحمد، حقيقة كتاب صلة القرآن باليهودية والمسيحية، قسنطينة-الجزائر، دار البعث، ط.1، 1986/1406.
- أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، 1991/1411.
- أبو عمرو الداني، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق غزة حسن، دمشق، دار الفكر، ط.3، 1986/1407.
- ----------، كتاب التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتويرتزل، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، 1996/1416.
- إجناتس جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرَين ، بيروت-لبنان، دار الرائد العربي، 1946.
- ----------، مذاهب التفسير الإسلامي، ،بيروت-لبنان، ط.3، دار اقرأ، 1985/1405.
- أحمد المشرقي، النبوة في الأديان الكتابية، بيروت-لبنان، دار الجيل، ط.1، 1424/ 2004.
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، بيروت-لبنان: دار الفكر، د.ت.
- أحمد عبد الغفور عطار، الديانات والعقائد في مختلِف العصور، مكة المكرمة، دون الناشر، ط.1، 1981/1401.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- إسرائيل فنكلستاين ونيل أسير سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها؛ رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء أكتشافات علم الآثار، ترجمة من الإنجيزية: سعد رستم، دمشق– سورية، دار الأوائل، ط.1، 2005.
- أندريه لومير، Histoire du Peuple Hébreu تاريخ الشعب العبري، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، بيروت–لبنان، عويدات، ط.1، 1999.
- ابن أبي داود السجستاني، كتاب المصاحف، بيروت–لبنان، دار الكتب العلمية، ط.1، 1985/1405.
- ابن الأثير (أبو الحسن علي الشيباني)، الكامل في التاريخ، بيروت–لبنان، دار الكتاب العربي، 1985/1405.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد الديمشقي)، النشر في القراءات العشر، جـ.1، بيروت–لبنان، دار الفكر، د.ت.
- ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم)، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ،الإسكندرية، دار ابن خلدون، د.ت.
- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد الظاهري)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، بيروت–لبنان، دار الجيل، 1985.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم)، تأويل مشكل القرآن ،تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، ط.2، 1973/1393.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، بيروت–لبنان، دار الرائد العربي، ط.3، 1987/1407.
- ————، تفسير القرآن العظيم، بيروت–لبنان، دار الأندلس، د.ت.
- ————، البداية والنهاية ، بيروت–لبنان، مكتبة المعارف، ط.6، 1985.
- ابن منظور (جمال الدين محمد)، لسان العرب، بيروت دار صادر د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك)، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، المجلد 1، بيروت–لبنان، دار الفكر، 1981/1401.
- باروخ سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتعليق حسن حنفي، بيروت–لبنان، دار الطليعة، ط.4، 1997.
- البخاري (محمد بن إسماعيل)، الجامع الصحيح،، بيروت–لبنان، دار الفكر، 1981/1401.
- عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين ، بيروت–لبنان، دار العلم للملايين، ط.3، 1993.
- بروس بارتون وآخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة–مصر، شركة ماستر ميديا، 2002.
- بطرس عبد الملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، القاهرة، دار مكتبة العائلة، ط.13، 2000.
- توماس ميشال، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ترجمة كميل حشيمة، بيروت–لبنان، دار المشرق، 1992.
- الجويني(عبد الملك بن عبد الله بن يوسف)، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تقديم وتحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتبة الأزهرية للتراث، ط.3، 1989/1409.
- الحاكم (أبو عبد الله)، المستدرك على شرط الصحيحين، بيروت–لبنان، دار الكتب العربي، د.ت.
- حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دمشق، دار القلم، ط.4، 1999.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت–لبنان، دار الكتاب العربي، ط.2، 1409/ 1989.

- رحمة الله الهندي، إظهار الحق، بيروت–لبنان، دار الجيل، د.ت.
- روجيه أرنلديز، رسل ثلاثة لإله واحد، ترجمة وديع مبارك، بيروت–لبنان، عويدات، ط.1، 1988.
- الزركشي (بدرالدين محمد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، بيروت–لبنان، دار المعرفة، ط.3، 1415هـ.
- الزنجاني (أبو عبد الله)، تاريخ القرآن، طهران، منظمة الإعلام الإسلامي–قسم العلاقات الدولية، 1404هـ.
- سعود عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الرياض، أضواء السلف، ط.4، 1425/ 2004.
- سليمان عمر قوش، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، الدوحة، دار الحرمين، ط.1، 1407/1987.
- السموأل بن يحيى، أفحام اليهود، تحقيق و تقديم محمد عبد الله الشرقاوي، القاهرة، دار الهداية، 1986.
- سهيل ديب، التوراة بين الوثنية و التوحيد، بيروت–لبنان، دار النفائس، ط.2، 1985.
- ————، (ترجمة وتعليق)، التوراة تاريخها وغاياتها، بيروت–لبنان، دار النفائس، 1986.
- سيجموند فرويد، النبي موسى ورسالة التوحيد، ترجمة عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، ط.1، 1411هـ/1991.
- سيد فرج، السامريون واليهود، الرياض، دار المريخ للنشر، 1987.
- السيوطي (جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، بيروت– لبنان، دار إحياء العلوم، ط.1، 1407/1987.
- الشاطبي (أبو إسحاق إبراهيم)، الموافقات في أصول الشريعة، تعليق محمد الخضر حسين التونسي، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الشافعي (محمد بن إدريس)، الأم، بيروت–لبنان، دار المعرفة، ط.2، 1393هـ.
- شعبان محمد إسماعيل، رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والإصطلاح، الدوحة–قطر، دار الثقافة، ط.1، 1412/ 1992.
- شمس الدين ابن قدامي، الشرح الكبير، بيروت–لبنان، دار الكتاب العربي، 1403/1983.
- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، بيروت–لبنان، دار العلم للملايين، ط.18، 1990.
- الطبري (محمد بن جرير)، السيرة النبوية، تحقيق جمال بدران، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط.1، 1414/1994.
- ————، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت–لبنان، دار الفكر، 1398/1978.
- عابد توفيق الهاشمي، فضيحة التوراة، بيروت–لبنان، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420/2000.
- عبد الباسط الجمل، عالم الحياة بين القرآن والعلم، القاهرة، عالم الكتب، ط.1، 2001
- عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، القاهرة، نهضة مصر، 2005.
- عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن دوافعها ودفعها، جدة، دار الشروق، ط.2، 1983.
- عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، القاهرة، دار الشروق، ط.1، 1999.
- عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، بيروت–لبنان، دار الرائد العربي، د.ت.
- العبدري (أبو عبد الله محمد بن يوسف)، التاج والإكليل لمختصر خليل، بيروت–لبنان، دار الفكر، ط.2، 1398هـ.
- فؤاد حسنين علي، التوراة الهيروغليفية، القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- القرطبي (محمد الأنصاري)، الجامع لأحكام القرآن ، جـ.17، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط.2، 1375/ 1954.
- لواء أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، القاهرة، مكتبة وهبة، 1987/1407.
- محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، القاهرة، دار المعارف، ط.3، 1983.
- محمد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، ط.3، بيروت–لبنان، المكتب الإسلامي، 1990/1410.
- محمد خليفة حسن أحمد، مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم، القاهرة، دار الثقافة العربية، 2002.
- ————، علاقة الإسلام بالأديان الأخرى، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية–جامعة القاهرة، 2003.
- محمد درّاجي، الاستشراق والدراسات القرآنية ،الجزائر، دار البلاغ، د.ت.
- محمد عبد الرحمن بيصار، العقيدة والأخلاق وأثرهما في الحياة الفرد والمجتمع، حيدا– بيروت–لبنان، المكتبة العصرية، 1980.
- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، الكويت، دار القلم، ط.4، 1977.
- ————، مدخل إلى القرآن عرض تاريخي و تحليل مقارن، ترجمة محمد عبد العظيم علي، الكويت، دار القلم، 1986.
- ————، الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، الكويت، دار القلم، 1990.
- محمد علي البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القدي، دمشق–سوريا، دار القلم، وبيروت–لبنان، الدار الشامية، ط.1، 1999/1410.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد فاروق الزين، المسيحية والإسلام والاستشراق، ط.3، دمشق–سوريا، دار الفكر، 2003.
- محمد فريد وجدي، الإسلام في عصر العلم، بيروت–لبنان، دار لكتاب العربي، د.ت.
- المرغيناني (علي بن أبي بكر)، متن بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، تحقيق حامد إبراهيم كرسون ومحمد عبد الوهاب بحيري، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، ط.1، 1355هـ.
- مسلم (بن الحجاج النيسابوري)، الجامع الصحيح، بيروت–لبنان: دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- مصطفى السباعي، المستشرقون ما لهم وما عليهم، بيروت ودمشق وعمّان، المكتب الإسلامي، ط.3، 1985/1405.
- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة ال بيروت–لبنان نبوية، القاهرة، مؤسسة المختار، ط.1، 2003.
- مصطفى صبري، مسألة ترجمة القرآن، القاهرة، مكتبة السلفية، د.ت.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت–لبنان، مؤسسة الرسالة، ط.2، 1999/1420.
- موريس بوكاي،، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة وتعليق حسن خالد، بيروت–لبنان ودمشق–سوريا، المكتب الإسلامي، ط.3، 1990.
- موسى بن ميمون، دلالة الحائرين، ترجمة:حسين أتاي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.
- موفق الدين ابن قدامي، المغني، بيروت–لبنان، دار الكتاب العربي، 1983/1403.
- ول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم محي الدين صابر، بيروت–لبنان و تونس، دارالجيل، 1998.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرسائل الجامعية

- بشير كردوسى، نقد التوراة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي المعاصر، رسالة الماجستير، قسنطينة، جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، **1993**.
- ————، المصادر الإسلامية في نقد النصرانية، رسالة الدكتوراه، قسنطينة، جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، **2002**.
- محمد بو الروايح، النبوة في التوراة والإنجيل والقرآن، رسالة الدكتوراه، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، **2000**.

الكتب الأجنبية

- **Encyclopedia Americana, Vol. 3, Art. Bible, 1961.**
- **Encyclopedia Britannica, Vol. 3, Art. Bible, 1961.**
- **Jean Louis SKA, Introduction à la Lecture du Pentateuque , Traduction de Frederic Vermoral, Bruxelles, Lessieus, 2000.**
- **John L. Esposito, Islam The Straight Path, New York, Oxford Uviversity Press, 1994.**
- **Mohammad Khalifa, The Sublime Qur'an and Orientalism, London & New York, Longman, 1st ed. , 1983.**
- **Sylvie Anne Goldberg (Ed.), Dictionnaire Encyclopedique du Judaisme, Paris, Cerf, 1993.**
- **The Bible, Reviced Standard Version, New York, Glasgow & Toronto, The Bible Societies, no year.**

مواقع الإنترنيت

- **Believe Religious Information Source, Art. Septuagint, 1/5/2006 (www.mb-soft.com/believe).**
- **Jewish Encyclopedia, Art. Torah, Online Edition Copyright © 2002 (www. Jewish Encyclopedia.com).**
- **The Catholic Encyclopedia, Art. Torah & Art. Pentateuch, Online Edition Copyright © 2005 (www.newadvent.org/cathen).**

فهرس الموضوعات

الإهداء

الشكر والتقدير

مقدمة.....أ

الفصل الأول: التوراة مصدريتها وتدوينها.....1

تمهيد.....2

المبحث الأول: التعريف بالنص التوراتي.....3

المطلب الأول: مفهوم التوراة.....3

المطلب الثاني: أسفار التوراة.....6

1. سفر التكوين.....6

2. سفر الخروج.....7

3. سفر اللاويين.....8

4. سفر العدد.....9

5. سفر التثنية.....9

المطلب الثالث: قدسية التوراة لدى المؤمنين بها.....10

– قدسيتها في عقيدة اليهود.....10

– قدسيتها في عقيدة المسيحيين.....11

المطلب الرابع: تعدد نسخ التوراة.....13

1. **التوراة العبرية**.....13

2. **التوراة السامرية**.....14

– من هم السامريون.....15

3. التوراة السبعينية 16

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: مصدرية التوراة.....18
المطلب الأول: نبوة موسى عليه السلام.....18
المطلب الثاني: موسى عليه السلام النبي والتوراة.....21
1. التحدث عن موسى عليه السلام بصيغة الغائب.....23
2. اختلاف لغة التورة عن لغة موسى عليه السلام.....24
3. امتداد الروايات إلى ما بعد موت موسى عليه السلام.....26
المطلب الثالث: كاتب التوراة الحالية.....27
المطلب الرابع: فرضيات مصادر التوراة.....28
1. المصدر اليهوي.....29
2. المصدر الإلوهيمي.....30
3. المصدر التثنوي.....31
4. المصدر الكهنوتي.....31
المبحث الثالث: تدوين التوراة.....33
المطلب الأول: التوراة في زمن موسى ويشوع.....33
المطلب الثاني: التوراة و إصلاح الملك يوشيا.....35
المطلب الثالث: كتابة غررا الكاهن للتوراة.....38
المطلب الخامس: ترجمة التوراة.....39
الفصل الثاني: القرآن مصدريته وتدوينه.....43
تمهيد.....44
المبحث الأول: التعريف بالنص القرآني.....45
المطلب الأول: مفهوم القرآن.....45
المطلب الثاني: الموضوعات العامة القرآن.....47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: لغة القرآن.....49
المطلب الرابع: تعدد قراءات القرآن..... 53
المبحث الثاني: مصدرية القرآن.....58
المطلب الأول: نبوة محمد.....58
المطلب الثاني: محمد النبي والقرآن.....61
المطلب الثالث: القرآن وتسلسل الوحي الإلهي.....63
المبحث الثالث: تدوين القرآن 68
المطلب الأول: كتابة القرآن وحفظه في زمن الرسول.....68
المطلب الثاني: جمع القرآن في عصر أبي بكر 71
المطلب الثالث: توحيد المصحف في عصر عثمان.....75
المطلب الرابع: المصحف العثماني والقراءات القرآنية.....80
المطلب الخامس: رسم المصحف وتطوره.....82
الفصل الثالث: التحليل المقارن بين التوراة والقرآن.....86
تمهيد.....87
المبحث الأول: مقارنة في المصدرية.....88
– محاولة التسوية في المصدرية 95
المبحث الثاني: مقارنة في التدوين.....107
– محاولة التسوية في النسبة إلى الموحى إليه.....110
الخاتمة..... 119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس..... 122
فهرس فقرات الكتاب المقدس..... 123
فهرس الآيات القرآنية..... 125
فهرس الأعلام..... 127
فهرس الأماكن والبلدان..... 130
فهرس المصادر والمراجع..... 131
فهرس الموضوعات..... 140

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية